الفصل الخامس:أقسام المسئولية المجتمعية من حيث المكلف(القائم بها)

وفيه مقدمة الفصل ومبحثان

المبحث الأول:المسئولية الفردية أو الشخصية:

المطلب الأول: بيان قيمة الفرد في الإسلام.وفيه فرعان:.

الفرع الأول: الفرد مناط التكليف. الفرع الثاني:تعليل مسئولية الفرد عن إصلاح المجتمع

المطلب الثالث: كلكم راع وكلم مسئول وفيه سبعة أفرع

الفرع الأول:مسئولية إمام المسجد. الفرع الثاني:مسئولية الإمام(الحاكم):

الفرع الثالث:مسئولية الرجل عن الأسرة. الفرع الرابع: مسئولية المرأة

الفرع الخامس:مسئولية الوالدين في الفكر والقوانين الوضعية

الفرع السادس:مسئولية الخادم(والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته):-

الفرع السابع:مسئولية الإنسان عن الحيوان.

المبحث الثاني:المسئولية الجماعية وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول:تهيئة للجماعية. المطلب الثاني: مسئولية المجتمع في الحفاظ على سفينة الأمة

المطلب الثالث: مسئولية التعليم. المطلب الرابع: مسئولية الإعلام.

المطلب الخامس: مسئولية الأمن.

الفرع الأول:مفهوم الأمن. الفرع الثاني: دور المنزل في تحقيق المسئولية الأمنية

الفرع الثالث: دور المدرسة في تحقيق المسئولية الأمنية

الفرع الرابع: دور المسجد في تحقيق المسئولية الأمنية

الفرع الخامس: دور المجتمع في تحقيق المسئولية الأمنية

الفرع السادس: دور الإعلام في تحقيق المسئولية الأمنية

المطلب السادس:المسئولية الثقافية. المطلب السابع: المسئولية الطبية.

obeikandi.com

مقدمة الفصل

المسئولية في الإسلام تعني أن المسلم المكلف مسئول عن كل شيء جعل الشرع له سلطاناً عليه، أو قدرة على التصرف فيه بأي وجه من الوجوه، سواء أكانت مسئولية شخصية فردية، أم مسئولية متعددة جماعية، فأما المسئولية الشخصية، فهي مسئولية كل فرد عن نفسه وجوارحه وبدنه، روحه وعقله، علمه وعمله، عباداته ومعاملاته، ماله وعمره، وهي مسئولية لا يشاركه في حملها أحد غيره، فإن أَحسن تحقق له الثواب، وإن أساء باء بالعقاب.

عن أبي برزة الأسلمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل فيه، وعن ماله من أين أكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه".([1])

فالمسئولية إذاً من المبادئ التي قررها الإسلام على الشخص وقصرها على المسئول وحده. وعليه فإن الفرد مكلف بمسؤوليات يجب عليه القيام بها بصفته الشخصية، ومسؤوليات يجب عليه أداؤها مع بقية أفراد المجتمع، فيلزم من هذا أن المجتمع مسئول.

وبالتالي يمارس كل فرد منا من ذكر وأنثى في مجتمعه مجموعة من المسؤوليات التي يفرضها عليه مكان وجوده وقدراته. ومقدار معرفة الفرد لمسؤولياته وفهمه لها.

ثم حِرصه على تحقيق المصلحة والفائدة المرجوة منها، يجعل المجتمع متعاوناً فعالاً تسوده مشاعر الانسجام والمودة بين أفراده.

فالمسئولية المجتمعية في الدنيا إذاً دوائر وميادين بعضها أكبر من بعض. وهي تبدأ بالفرد وتنتهي بالإنسانية كما يلي:-

1- مسئولية الفرد عن نفسه وعن ما منحه الله من قدرات عقلية وسمعية وبصرية وجسدية ونفسية ليستعملها فيما خلقت له طبقا لأوامر اللّه ونواهيه.

2- مسئولية الفرد عن أسرته وتشمل مسئولية الوالد عن الأبناء والبنات، ومسئولية الولد عن الوالدين، ومسئولية الزوجين كل عن الآخر.

3- مسئولية الأرحام بعضهم عن بعض.

---

[1]) صحيح الجامع للترمذي برقم2417.ج612/4.

4- مسئولية الفرد عن الأمة، ومسئولية الأمة عن الفرد فيما يزيد في تقدم الأمة ويحفظ مقدراتها وأمنها، وفيما يوفر للفرد العيش الكريم والأمن والاستقرار، ويتفرع عن هذه المسئولية فروع عديدة مثل مسئولية الحاكم عن الشعب، والقوي عن الضعيف، والغني عن الفقير.

5- مسئولية الجيل عن الأجيال اللاحقة في إعدادها لمتطلبات حياتها عقائديا واجتماعيا واقتصاديا وكل ما يساعدها على عبور مستقبلها بنجاح.

6- مسئولية الأمة عن الأمم.

7- مسئولية الإنسان عن المخلوقات باعتباره خليفة اللّه في الأرض، وأن المخلوقات كلها عيال اللّه وأحبها إلى اللّه أبرهم بعياله. وتتسع هذه المسئولية حتى تشمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد «[1]».أما المسئولية في الآخرة فهي مسئولية فردية يتحمل فيها الإنسان بمفرده نتيجة عمله دون تأثير على الآخرين من حيث الثواب أو العقاب، يقول تعالى: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفى} ([2])، ومما لا شك فيه أن إضلال الآخرين أو هدايتهم يقع في إطار هذه المسئولية الفردية يقول المصطفي عليه الصلاة والسلام مقررا ذلك: «من سنّ خيرا فاستن به كان له أجره، ومثل أجور من تبعه غير منتقص من أجورهم شيئا، ومن سنّ شرّا، فاستن به كان عليه وزره، ومثل أوزار من تبعه غير منتقص من أوزارهم شيئا» «[3]».

وسوف أتناول في هذا الفصل بعض هذه الأنواع بالتفصيل وبعضها أمر عليه مرور الكرام حسب الأهمية والمسحاة

[1]) فلسفة التربية الإسلامية بتصرف يسير، ص 201 وما بعدها.

[2]) سورة النجم:39- 41.

[3])سبق تخريجه.

المبحث الأول

المسئولية الفردية أو الشخصية

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب

تمهيد:

لقد كلف ديننا الحنيف الإنسان بمهام وأعطاه العقل والقدرة على القيام بهذه المهام وأخذ عليه العهد بالتنفيذ وبعد ذلك جعل المسئولية عليه وحده فهو المسئول وحده المحاسب وحده المنعم وحده المعاقب إن قصر وحده فلا يحمل أحد وزر أحد ولا يأخذ أحد منزلة أحد وإنما كل نفس بما كسب رهينة. وبناء عليه فتكون المسئولية فردية قبل أن تكون جماعية.

المطلب الأول

بيان قيمة الفرد في الإسلام

وفيه فرعان

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم وكرمه بالعقل وميزه عن جميع المخلوقات وبالتالي جعله محلا للتكليف.

الفرع الأول

الفرد مناط التكليف

لقد جعل الإسلام الفرد مناط التكليف ومركزه، لم يخلق الله الإنسان ملكا مجبولا على الخير والاستقامة والطاعة، كما أنه لم يخلقه شيطانا رجيما متمحضا للشر والفساد، وإنما جعله إنسانا قابلا للهدى، والضلال، والخير، والشر، ولإيمان، والفجور.

وذلك مصداقا لقوله تعالى:{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا{7}فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا{8}قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا{9}وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}([1])ولذلك جعل الله عز وجل الجزاء الأخروي كله منوطا بالعمل الذي يعمله الفرد والشيء الذي يختاره، فالله عز وجل يقول فيما يتعلق بالجزاء الأخروي:{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ{6} فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ{7} وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ}([2])

---

[1])سورة الشمس:الآيات:7إلى10.

[2]) سورة الزلزلة:6، 7، 8.

فكل إنسان مكلف مسئول يوم القيامة ومحاسب وموقوف.

يقول الله عز وجل:{وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ }([1])

الأب لا ينفع ابنه، والابن لا ينفع أباه، والزوج لا ينفع زوجه.

يقول الله عز وجل:{يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ}([2])

المولى هو القريب، ابن العم، السيد، الزعيم، الحبيب كل هؤلاء بعضهم مولى لبعض.

يقول الله عز وجل:{ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ{34} وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ{35} وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ{36} لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}([3])

ولما جعل الإسلام الجزاء الأخروي فرديا، جعل كذلك الوقوف يوم القيامة للحساب فرديا.يقول الله عز وجل:{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ}([4])

المال والعبيد والأولاد والسلطان والجاه والمنزلة والمكانة، كلها تركتموها وراء ظهوركم، وجئتمونا فرادا حفاة عراة{كما بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}([5])

إذا هذه بديهية يجب أن تحيا في نفوس الناس جميعا، الجزاء يوم القيامة جزاء أخروي كل إنسانا يوقف بمفرده، ما فيه احتمال وإمكانية أن يتبرع أحد لأحد، ولا يستطيع أحد أن يملي جوبا لأحد، هذا غير وارد وغير متصور.

وكذلك الحال بالنسبة للواقع الدنيوي فإن القرآن الكريم صريح وظاهر في أن كل ما يلاقي الناس في هذه الدنيا من خير أو شر فهو بسبب أعمالهم وواقع تحت مسئولياتهم بعد أن أخذ الله العهد على الناس وأقروا جميعا فأصبحوا مسئولين مسئولية كاملة كل عن نفسه.

---

[1])سورة الصافات:24.

[2]) سورة الدخان:41.

[3]) سورة عبس:آيات35، 37.

[4])سورة الأنعام:94.

[5]) سورة الأنبياء:104.

{وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ }([1])

وبالتالي يقول:{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ }([2])

وقال الله تعالى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }([3])وكذلك يقول الله عز وجل: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}([4]) فكل فساد يظهر في البر أو في البحر فهو بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا.حتى حين ينظر الإنسان السطحي البسيط فلا يدرك، فإن العقلاء يدركون أن كل فساد يقع في البر، أو البحر، أو الجو أيضا فإنه بما كسبت أيدي الناس، وأنه ليس كل العقوبة إنما بعض الذي عملوا، هو مجرد إيماء، تحذير، تنبيه، وخز لعلهم يرجعون.وفي ما يتعلق بسنة رسول الله فقد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:" يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله تعالى ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم".([5])

---

[1]) سورة الأعراف:172.

[2]) سورة الشورى:30.

[3]) سورة آل عمران:165.

[4]) سورة الروم:41.

[5]) رواه ابن ماجه واللفظ له والبزار والبيهقي.

الفرع الثاني

تعليل مسئولية الفرد عن إصلاح المجتمع

8-الفرد يتأثر بالمجتمع:

الإنسان كائن اجتماعي يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه، فتمرض روحه أو تهزل، أو تصح وتقوى تبعا لصلاح المجتمع أو فساده. وقد أشار النبي الكريم صلى الله عليه وسلم إلى هذه الحقيقة، فقد جاء في الحديث الشريف «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ... الخ» فالأبوان بالنسبة للصغير مجتمعه الصغير الذي يؤثر فيه، فيدفعه إلى الفساد أو الصلاح، فإذا كان الأبوان ضالين دفعاه إلى الضلال، وأخرجاه عن مقتضى الفطرة السليمة التي خلقه الله عليها، وإذا كانا صالحين أبقياه على الفطرة التي خلقه الله عليها. ونميا فيه جانب الخير. وهكذا شأن المجتمع الكبير في تأثيره في الفرد صلاحا وفسادا.

9-ضرورة قيام المجتمع الصالح:

قيام المجتمع الصّالح ضروريّ للفرد، لأنّ المطلوب من المسلم تحقيق الغرض الّذي خلق من أجله وهو عبادة الله وحده، قال تعالى:{وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}([1]) والعبادة اسم جامع لما يحبّه الله تعالى من الأقوال والأفعال والأحوال الظاهرة والباطنة وهذا المعنى الواسع للعبادة يقتضي أن يجعل المسلم أقواله وأفعاله وتصرفاته وعلاقاته مع الناس على وفق ما جاءت به الشريعة الإسلامية، والمسلم لا يستطيع أن يصوغ حياته هذه الصّياغة الإسلامية إلّا إذا كان المجتمع الّذي يعيش فيه منظما على نحو يسهّل عليه هذه الصّياغة أي أن يكون مجتمعا إسلاميا صحيحا. فإن لم يكن كذلك بأن كان مجتمعا جاهليّا صرفا، أو مجتمعا مشوبا بمعاني الجاهلية، فإنّ المسلم لا يستطيع فيه أن يحيا الحياة الإسلاميّة المطلوبة أو يتعذّر عليه ذلك. ولهذا يأمر الإسلام بالتّحوّل من المجتمع الجاهليّ إلى المجتمع الإسلامي، ما دام عاجزا عن إزالة جاهليّته، قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قالُوا أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فَأُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَساءَتْ مَصِيراً}([2])

---

[1])سورة الذاريات: 56.

[2])سورة النساء: 97.

وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة أنّها نزلت:في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكنا من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما بالإجماع. ولهذا يجب على كل مسلم تعهد المجتمع الذي يعيش فيه وإزالة المنكر حال ظهوره أو وقوعه وأن لا يستهين به، لأنّ المنكرات كالجراثيم التي تؤثر في الجسد قطعا، وإذا لم تمرض البعض فإنّها تضعف مقاومته فيسهل عليها فيما بعد التغلب عليه. ولهذا كانت أولى مهمّات الدّولة الإسلاميّة إقامة هذا المجتمع الإسلاميّ الفاضل وإزالة المنكرات منه، قال تعالى:{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ}([1])

3) النجاة من العقاب الجماعي:

وقيام الأفراد بإصلاح المجتمع من الهلاك الجماعي أو العقاب الجماعي أو الضيق والضنك والقلق والشر الذي يصيب المجتمع لأن من سنن الله تعالى، أن المجتمع الذي يشيع فيه المنكر، وينتشر فيه الفساد، ويسكت الأفراد عن الإنكار والتغيير، فإن الله تعالى يعمهم بمحن غلاظ قاسية، تعم الجميع، وتصيب الصالح والطالح، وهذه في الحقيقة سنة مخيفة وقانون رهيب يدفع كل فرد لا سيما من كان عند علم وفقه أو سلطان إلى المسارعة والمبادرة فوراً لتغيير المنكر دفعاً للعذاب والعقاب عن نفسه وعن مجتمعه.

قال د. حسن علي الحجاجي: يرى ابن القيم أن مسئولية التربية تقع على الأباء والمربين لاسيما إذا كان الناشئ في أول مراحل نموه، فإنه في أمس الحاجة إلى تقويم أخلاقة وتوجيه سلوكه، وهو بمفرده لا يستطيع القيام بذلك، فالمسئولية على ولي أمره، يقول رحمه الله:(.. ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقِه، فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره من حرد وغضب، ولجاج، وعجلة، وخفة مع هواه وطيش، وحِدة، وجشع، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة، فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولا بد يوماً ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قبل التربية التي تنشأ عليها.

[1])سورة الحج:41.

فأبن القيم يبين أن للتربية أهمية قُصوى في تهذيب الخُلق وتقويم السلوك، كما يوضح أن التربية السليمة هي التي تجعل للتدريب والتعويد شأناً في رسوخ الصفات الطيبة. وفي هذا القول أيضاً يُحمل أبن القيم التربية مسئولية انحراف الأخلاق والسلوك.([1])

قال الدكتور علي أبو العينين: " من المقومات الأساسية التي يقوم عليها المجتمع المسلم أنه مجتمع مسئول عن بعضهم، ومأمورون بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".([2])

المطلب الثاني

أسس المسئولية الفردية

المنهج الإسلامي الواقعي الجاد يؤهل الفرد المسلم، ويعتني بتربيته؛ لكي يكون ذا دور فاعل في نهضة أمته، وفي تثبيت أركانها، ورأب الصدع الناجم عن التفرق المذموم بين فصائله، والفرد جزء لا يتجزأ من نسيج أمته، له حقوق كفلها له الإسلام شريطة القيام بواجباته تجاه أمته من احترام الإسلام كشريعة شاملة تحمل الخير للدنيا بأسرها من الله العزيز الحكيم، والحفاظ على ثوابت الأمة، وصيانة لحمتها من زعزعة صفها المتلاحم، وإذا ما تحقق هذا فهو دليل على مدى الامتثال لأمر الله دون تردد أو شكٍّ أو حرج.

ولحمة الصف مع قيادته تتكامل بالعمل التناغمي مع الطاعة المبصرة والنصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وتتحقق اللحمة باحترام الأطر العامة والخاصة للأمة، والعمل في إطارها دون مساس أو انتقاص، ودونما جور على حق الفرد الذي قررته الشريعة الإسلامية من حفظ النفس والدين والعرض والعقل والمال، وهي مقاصد الشريعة الخمسة، مكفولة للأفراد والأمة سواء بسواء.

والفرد في محيط مجتمع واعٍ، إيجابي، يقظ، ذاتي الحركة، ذو حس مرهف يُحْسِن الظن بالصف المؤمن، لديه فقه في استيعاب الفتن، وإدارة الخلاف، وهو ما قال عنه أحد الأئمة: "نُريد في الفتن انتباه الفقهاء لا علم العلماء"، وقول الإمام الحسن البصري: "إذا أقبلت الفتنة عرفها كل عالم، وإذا أدبرت اتبعها كل جاهل". ولا تتم هذه الأسس إلا على:

---

[1]) عن كتاب الفكر التربوي عند ابن القيم (162).

[2]) التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي (54)

1 – الوعي واليقظة:

فالمسلم في دائرة الأحداث التي تتعرض لها أمته يتسم بالفهم الواعي واليقظة العاصمة من الفرقة والشقاق، والذاتية الحركية الجادة، الحائلة دون تفاقم الأمور والخروج عن السيطرة وهو فِقه إدارة الفتن، وبين أيدينا موقف زيد بن أرقم من مقولة عبد الله بن أُبَي بن سلول، وموقف عُمَير بن سعد من الجُلاَّس بن سويد ربيبه، فكلا الرجلين قالا مقالة لا تحتمل غير الكفر والنفاق فالأول، قال: "إنما مثلنا ومثل محمد كمن قال: سمن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعَزُّ منها الأذلَّ"، والآخر بعد استثارة الفتى عمير له؛ ليتجهز للخروج مع النبي – صلى الله عليه وسلم – لغزوة تبوك: "إن كان محمد صادقًا فيما يدعيه من النبوة فنحن شر من الحمير".([1])وتلكم مقالتان يستقر قلب صاحبها بين الكفر والنفاق، وتشي بمدى الاستهتار بأطر المجتمع المسلم وثوابته، قالا مقالتان تمس الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وتتطاول عليهما، وتبث الإرجاف في صفوف المؤمنين كما هي الحال الآن من التطاول على النبي – صلى الله عليه وسلم – وأزواجه أُمهات المؤمنين، وتقدح في عرضه – صلى الله عليه وسلم – وهذه الطائفة الجائرة المتعدية على الله ورسوله للأسف تدعي الإسلام، والإسلام منها براء.

ولقد أوضح حسن البنا في "الأصول العشرين":معيار الحكم على الناس من الإيمان من عدمه، وهذا الأمر مرده إلى الإمام وجُمْهور العلماء الغيورين على دين الله – عز وجل – فقال رحمه الله: ولا نكفر مسلمًا أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما، وأدى الفرائض – برأيٍ أو بمعصية – إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر.

قابلت المقالتان أذنا واعية يقظة، برغم حداثة السن في هذين الصحابيين، إلا أنهما أدركا الواجب عليهما تُجاه الأمة، وتقلدا قلادة المسؤوليّة، وعلم كل منهما أنه المسئول الأول والوحيد عن هذا الدين، فتخلى كل واحد منهما عن السلبية المقيتة، ولم تحدثه نفسه بإخبار

[1]) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير.ج 3.مرجع اسبق.

الله – عز وجل – نبيه – صلى الله عليه وسلم – وقد كان، فكان للنبي – صلى الله عليه وسلم – مع ابن سلول شأن آخر، ولكنها اليقظة والوعي المحرك الأول لزيد وعُمَير!

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني.....عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

وهذا السلطان عبد الحميد – رحمه الله – يتعرض لضغوط شديدة للتخلي عن مدينة القدس وفلسطين بعرض مغر يعصف بلب كل ذي لب، وفي حال ضعف دولة الخلافة وديونها لا مفر من الرضوخ لهذا الأمر وتعديل الأوضاع، ولكنه العار والذل أبد الدهر، ولا يذكر التاريخ الآن سوى سقوط دولة الخلافة على يد أتاتورك ووقفة السلطان عبد الحميد الراسخة الأبية في وجه هذا المشروع الصِّهْيَوأوربِّي لسلب أغلى بقعة من الأرض المسلمة بعد بلاد الحرمين، بقعة من الجنة، ولا شك أنَّها الآن وقبل ذلك وإلى قيام الساعة هي القضية المحورية الأولى لمن أنعم الله عليهم بالفهم والفقه من المسلمين، فهي قضية عقيدة ودين، من لم يهتم بها كان في إيمانه نقص، وفي عقيدته دخل.

فقال رحمه الله: "القدس ليست ملكي وحدي، بل هي ملك للمسلمين جميعًا، ولا أستطيع التفريط في شبر واحد منها".ما هذا الوعي وهذا الفهم واستشعار المسؤولية؟! أما نحن الآن فما دورنا؟ وهل لدينا وعي وفهم ويقظة؟ وهل نحن قوم مسئولون؟!وبرغم يقظة ووعي السلطان عبد الحميد إلا أنَّ يهود الدونمة تغلغلوا في جسد الدولة المريض عن طريق حزب الاتحاد والترقي، فتمكنوا من عزل السلطان، ثم تنصيب أتاتورك الصهيوني الذي ألغى الخلافة الإسلامية، وجعل العلمانية السافرة تلف دولة الخلافة، وتم لهم اغتصاب فلسطين، ويا لها من طامة كبرى.

2 – الذاتية والإيجابية والمبادرة:

يحضرني في هذا المقام هدهد سليمان – عليه السلام – واستشعاره المسؤولية عن العقيدة والدين، فلقد تأملت حال هذا الهدهد وهو يدعو إلى التوحيد الخالص بمنطق طائر جميل في خلقته وتوجهه، وعقله الصغير الكبير، إن صح ذلك، لقد فاق بفكره على الذين يسجدون للشَّمس من دون الله: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾([1]) ما هذا المنطق الجميل في الدعوة إلى توحيد رب العالمين؟! منطق

[1]) سورة النمل:25.

طائر لبيب يملك أدوات الدعوة ويمارسها من منظوره البسيط، فالخَبْء أو الحب المخبوء في الأرض هو غاية علمه ومنتهى طلبه، وهو رزق يسوقه الله – عز وجل – له، فكانت الحركة منه يجوب الأرض شرقًا وغربًا، وشمالاً وجنوبًا، يرصد الانحراف عن التوحيد، ويبلغ نبيه وقائده في معركة الحق والباطل؛ عرفانًا وشكرًا لنعم الله عليه – الخبء – ونحن منطقنا مشوه، وحسنا متبلد، فنعم الله – عز وجل – علينا لا تعد ولا تحصى.فالإسلام والإيمان والقرآن نعمة، والنبي – صلى الله عليه وسلم – وسيرته وسنته وصحابته، كل هذه نعم الله علينا، ونحن الآن نرى كفرًا بواحًا، ولا نحرك ساكنًا، ولا تغلي في عروقنا دماء الغيرة على دين الله، ونرى أرضًا مستباحة، ودماء مهراقة، وقدسًا يستغيث ولا حراك، فأي إيجابية وهمة هذه التي كانت لدى الهدهد ولا توجد لدينا؟! وأي حرقة هذه على دين الله، وأي فهم لدى الهدهد ونحن لدينا هموم غير ذلك؟! إلا من رحم الله – عز وجل – أي إيجابية وهمة وحرقة لديه ولا نحمل هذه الحرقة بين جوانحنا؟! أيحمل هذا الطائر قلبًا وعقلاً، ونفتقر نحن إليه؟ أنفتقر إلى احتواء هذه الجوارح بين جوانحنا؟! أم هي قلوب لا تفقه، وعقول أحيطت بسياج من الغفلة والجهل؟ فصرنا لا نعي شيئًا؟! كلا.. لقد كرمنا الله – عز وجل – على سائر الخلق بالعقل والفهم، وإنَّ قلبًا بطانته الإيمان، واليقين مكين فيه، والحكمة نابتة في أركانه، لهو قلب جدير بحمل هذه الدعوة وتبليغها، فالدعوة شرف ونجاة للمسلم، وأولى بنا من الهدهد، أن ندعو إلى الله –عز وجل – لخير الدنيا والآخرة، ونجاة لنا وزكاة: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾([1])

3 – حسن الظن بالصف المسلم:

وهذه الصفة لازمة وآكِدَة لصيانة الأعراض وترسيخ ركن الثقة بين جنبات المجتمع المسلم، فمِن حق كل فرد أن يكون مصان العرض، آمنًا في سربه، مأمون الجانب من جهته لإخوانه المسلمين، ولقد حذر النبي – صلى الله عليه وسلم – الجيران، فقال: ((والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن))، قيل: من يا رسول الله؟ قال: ((من لا يأمن جاره بوائقه)).([2])

[1]) يوسف: 108.

[2]) صحيح وضعيف الجامع للترمذي برقم(7102)

وعلى كل فرد مسلم التخلق بهذا الخلق؛ حمايةً لنفسه وأهله وعرضه أولاً، ثم حماية لإخوانه؛ لأنه إن كف عن الناس أذاه، كف الناس أذاهم عنه، وفي نهاية الأمر هي له زكاة وصيانة له وللصف المؤمن من زعزعة أركانه، وتصدع بنيانه.

وفي حادثة الإفك كفاية وشفاء للغليل، ودروس وعبرة لأولي الألباب، فحينما بلغ أبا أيوب الأنصاري وزوجته – رضي الله عنهما – ما خاض فيه المنافقون، وبعض المسلمين أمثال مسطح بن أثاثة، وحسان الشاعر وحِمْنة بنت جحش – رضي الله عنهم – في عرض النبي – صلى الله عليه وسلم – في عرض الحصان الرَّزان الصديقة بنت الصديق، كان رد فعل أبي أيوب وزوجه غاية في الرقي والأدب مع الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم – وقمة في احترام الصف المؤمن، وصيانةً للأعراض من أن تستباح، حتى ولو بالكلام.

أم أيوب لأبي أيوب: "لو كنت مكان صفوان بن المعطل أكنت تفعل ذلك"؟

أبو أيوب: "ولو كنتِ مكان عائشة أكنت تفعلين ذلك"؟

ثم قالا لبعضهما البعض: "والله لصفوان خير مني"، و"والله لعائشة خير منك".([1])

فكان الأدب مع الله خشية نزول الوحي فيهما، والأدب مع رسول الله بالتورع عن الخوض في عرض المعلم والهادي والبشير النذير صلى الله عليه وسلم والأدب مع الصف من إخوانهم المؤمنين باحترام الصف، وصيانة لأعراضهم، فعصموا ألسنتهم من الخوض في هذا الإفك المبين كما وصفه القرآن الحكيم:﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾([2])

ما هذا الثراء الإيماني والسمو الخلقي في أفراد هذا القرن العظيم ((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم))([3])وفي المجتمع المسلم مجرد ممارسة فعل الحب لإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا يُعرِّض صاحبه للعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، فمن سره مصاب المؤمنين فهو على شعبة من النفاق، ومن ساءه الخير للمؤمنين فهو كذلك، فمجرد الحب لإشاعة الفاحشة جرم عظيم،وتمكن جوانب المسئولية الفردية فيما يلى:وقد جمعها الرسول في

[1]) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن عند تفسير أيه آلافك سورة النور.مرجع سابق

[2]) سورة النور: 12.

[3]) رواه البخاري برقم(2508)كتاب الشهادات باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد.

قوله:"إن لنفسك عليك حقا، وإن لربك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه".([1]) من ذلك:

- مسؤولية الإنسان تجاه ربه وما عليه من واجبات تكليفيه.
- ومسؤوليته تجاه نفسه بتزكيتها وتهذيبها.
- ومسؤوليته تجاه أهله.
- مسؤوليته تجاه مجتمعه وأمته.

المطلب الثالث

كلكم راع وكلم مسئول وفيه سبعة أفرع

يُعد الحديث الآتي أصلاً من أصول الشرعية التي تقرر مبدأ المسؤولية الشاملة في الإسلام.

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ما قال: سمعت الرسول يقول:"كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته؛ الإمام راعٍ ومسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته."([2]) هذا الحديث هو الأصل في المسئولية وهو العماد التي تدور عليه المسئولية بمعناها ومجالاتها، وأقسامها، وفروعها، وأصولها.، وهذا الحديث هو الذي تأسست عليه المسئولية فلابد أن يكون هو محور الحديث عن المسئولية خاصة وأن الرسول قد بين في هذا الحديث أن المسئولية عامة بل ملزمة على جميع أفراد المجتمع ولم يستثنى منها فردا بنص الحديث الشريف (كلكم) راع أي كلكم مسئول ومكلف ثم حدد رسول الله أربعة أنواع ليس لأهميتها فحسب بل لأن المسئولية لا تسقط عنها بأي حال من الأحوال ولا يصلح أن يقوم أحد من غير هؤلاء الأربع بها وأن هذه الأنواع الأربع هي المناص الذي تدور عليها حياة الأفراد في كل مكان وزمان وبعد أن أجمل رسول الله في الحديث المسئولية على كل الأفراد ثم خص منها أربعة بالذكر عاد وأكد في نهاية الحديث على شمولها في قوله صلى الله عليه وسلم فقال ألا وكلكم راع ألا وكلكم مسئول عن رعيته. فبهذا الحديث ومن قبله

---

[1]) صحيح سنن أبي داود برقم(1369)

[2]) متفق عليه البخاري (104/8) ومسلم (1459/3).

قوله {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ }([1]) تبين بيانا لا اختلاط فيه ولا ريبة أن المسئولية شاملة لكل إنسان فكما أن كل إنسان له حقوق كذلك عليه واجبات.

وسوف أخذ بعض النماذج وأتحدث عنها بالتفصيل لما لها من الأثر البالغ في الحياة العامة والخاصة لدرجة أن الحياة لا تستقيم إلا بهؤلاء، بل لكل منهم دور محوري في حياته هو وحياة المجتمع عامة ولن أخرج كثيرا عن الأربعة المذكورين في الحديث بل سأذكر الأربعة الوارد ذكرهم في الحديث مع ضرب أمثلة أخرى من واقعنا الذي كثر فيه الرعاة، وتعددت المسئوليات على تنوعها من الجسامة والضآلة، وعلى إثر ذلك ظهر لكل مسئولية أثرها الملموس. وسوف أزيد علي الأربعة المذكورين في الحديث مسئولية الدعاة نظرا لخطورتها البالغة ومسئولية التعليم، ومسئولية الإعلام.

الفرع الأول

مسئولية إمام المسجد

الإمامة في اللغة: هي مصدر الفعل "أم" والإمام هو ما يؤتم به، ومنه قيل للطريق إمام، وللبناء إمام لأنه يؤتم بذلك، أي يهتدي به السالك، والنبي صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، والقرآن إمام المسلمين، وإمام كل شيء قيمه والمصلح له.

واصطلاحا هي من يصح الاقتداء به في الصلاة. أو هي ربط صلاة المؤتم بالإمام. وتطلق على الإمامة الكبرى، وهي الخلافة أو الملك أو رئاسة الدولة. وتطلق على العالم المقتدي به، فيقال إمام المحدثين، وإمام الفقهاء. والإمام لما كان هو القدوة للناس لكونهم يأتمون به، ويهتدون بهديه أطلق عليه هذا اللفظ [(2)].

أولا: فضل الإمامة ومنزلة الإمام:

الإمامة تعليم، وتذكير، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، ولا يخفي ما لهذه الأمور من منزلة عظيمة، فبالعلم يزول الجهل، وبالتذكير تذهب الغفلة، ويحل الإقبال على الدين محل

---

[1]) سورة المدثر:38.

([2])تفسير الطبري19 / 34، وفتح القدير 1 / 137 والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص 24والصحاح للجوهري5 /1865، غاية المرام في شرح شروط المأموم والإمام ص39، وأحكام الإمامة والائتمام في الصلاة 62.

الإعراض عنه، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تسود طاعة الله في المجتمع وتضمحل المعصية، وتنتشر الفضيلة وتنحسر الرذيلة، ويكثر الخير ويقل الشر.

من أجل هذا وغيره تعد الإمامة رسالة عظيمة، ومهمة جسيمة يوفق الله للقيام بها على الوجه المطلوب دعاة الحق، وصفوة الخلق حماة الدين، وحراس العقيدة الصحيحة، فيتعلم على أيديهم الجاهل، ويستيقظ من أجل مواعظهم الغافل، ويهتدي بهم السالك، وتسمو بتوجيهاتهم النفوس، وتزكو الضمائر، وتتهذب الأخلاق، ويقوم سوق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتحيا السنن، وتندرس البدع ويسعد الناس بالأئمة الأكفاء كما سعدت الدنيا بإمام الأئمة صلى الله عليه وسلم .

ولما كان أمر الإمامة عظيما، دعا النبي صلى الله عليه وسلم للأمة بالرشد فقال:"الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن اللهم أرشد الأئمة، واغفر للمؤمنين"[1] [2].

ومن المعلوم أن الإمامة رمز الاجتماع والائتلاف، لذا فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على اتخاذ إمام ولو كانوا ثلاثة نفر فقط، حيث قال عليه الصلاة والسلام:"إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم، وأحقهم بالإمامة أقرؤهم"[3] [4].والناس محتاجون إلى من يقوم بهذه الرسالة خير قيام؛ لأن أمراض المجتمع الحقيقية تكمن في: الجهل والغفلة، والميل إلى الشهوات.

ولا يخفي أن هذه العلل إذا كثرت كثر الخبث، ونزل البلاء إذ هو نتيجة لمقدمة، والله يقول: {فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[5].

([1]) الترمذي الصلاة (207)، أبو داود الصلاة (517)، أحمد (461/2).

([2]) رواه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة في المسند 2 / 232، 332، 337. قال في الفتح الرباني 3 / 8 صححه ابن حبان.

([3]) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (672)، النسائي الإمامة (840)، أحمد (34/3)

([4])مسلم في كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة 1 / 464.

([5]) سورة العنكبوت آية:40.

لهذا، فإن منزلة الإمام تعظم لكونه يتولى معالجة هذه العلل، فداء الجهل لا دواء له إلا بالعلم، وحاجة الناس إلى العلم الذي يرفع عنهم حجاب الجهل ويزيل غشاوته أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وأعظم من حاجة الأرض المجدبة إلى الغيث العميم.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله عن العلم وفضله: به يعرف الله ويعبد، ويذكر ويوحد، ويحمد ويمجد، وبه اهتدى إليه السالكون، ومن طريقه وصل إليه الواصلون، ومن بابه دخل عليه القاصدون، به تعرف الشرائع والأحكام، ويتميز الحلال من الحرام، وبه توصل الأرحام، وبه تعرف مراضى الحبيب، وبمعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب، وهو إمام والعمل مأموم.. إلى قوله: مذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه قربة، وبذله صدقة، ومدارسته تعدل بالصيام والقيام، والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام [1].

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله، وملائكته، وأهل السماوات، وأهل الأرض حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير".[2].

فلو لم يكن من فضل الإمامة، ومنزلة الإمام إلا هذا لكفي.

والأئمة مبلغون لدين الله، داعون إلى كل خير وفضيلة، والدعاة إلى الله هم خير الناس، فهم الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر، القائمون على حدود الله، الذابون عن دين الله، الصالحون المصلحون الذين أثنى الله عليهم وامتدحهم في مواضع عديدة. قال تعالى:{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}([3])

يقول ابن القيم رحمه الله: أمر الله نبيه بأن يخبر أن سبيله الدعوة إلى الله فمن دعا إلى الله تعالى فهو على سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بصيرة وهو من اتبعه، ومن دعا إلى غير ذلك فليس على سبيله، ولا هو على بصيرة وهو من اتبعه، ومن دعاء إلى غير ذلك فليس على سبيل، ولا هو على بصيرة، ولا هو من أتباعه، فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وإتباعهم،.. وتبليغ سننه إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛

([1]) تهذيب مدارج السالكين 484 – 485، وما ذكره عن الإمام أحمد ص 485.

([2]) الترمذي العلم (2685)، الدارمي المقدمة (289).

[3]) سورة فصلت:33.

لأن تبليغ السهام يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء، وخلفاؤهم في أممهم جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه [1].

والمجتمعات تتعرض غالبا لعواصف من الفتن والمغريات تجر بعض الناس جرا إلى الفساد والإفساد، وتصرفهم عن طاعة رب العباد، وهنا يأتي دور الإمام المذكر المحذر المشفق على إخوانه فتحيا به القلوب، ويفتح الله على يديه مغاليقها، فيكون له بذلك من الأجر العظيم، والثواب الجزيل ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:"من دعاء إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا". [2] [3]. قال العلماء إن المتسبب إلى الهدى بدعوته له من الأجر مثل أجر من اهتدى به، وكذلك المتسبب إلى الضلالة عليه من الوزر مثل وزر من ضل به، لأن الأول بذل وسعه وقدرته في هداية الناس، والثاني بذل قدرته في ضلالتهم منزل كل واحد منهما منزلة الفاعل التام [4].

ثانيا:صفات القائم بالإمامة:

مما لاشك فيه أن اختيار الإمامة مبني على الأفضلية،فمن المقرر أن اختيار الإمامة مبني على الأفضلية، حيث قال عليه الصلاة والسلام: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأكبرهم سنا". [5] [6].

وقد ساق أبو يعلى الفراء الصفات المعتبرة في تقليد الإمام وهي أن يكون رجلا عدلا، قارئا، فقيها، سليم اللفظ من نقص أو لثغ بين رحمه الله: أن أقل ما على هذا الإمام من

([1]) التفسير القيم،ابن القيم: 431.

([2]) الترمذي العلم (2674)، الدارمي المقدمة (513).

([3]) رواه مسلم في كتاب العلم، باب من سنن سنة... الخ 4 / 2059 ح (2674).

([4])غذاء الألباب 1 / 47.

([5]) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (673، 673)، الترمذي الصلاة (235)، النسائي الإمامة (780، 783).

([6])مسلم في كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة 1 / 465 ح (291) من حديث أبي مسعود الأنصاري.

القراءة والفقه أن يكون حافظا لأم القرآن، عالما بأحكام الصلاة؛ لأنه القدر المستحق فيه، ثم قال ولأن يكون حافظا لجميع القرآن، عالما بجميع الأحكام أولى [1].

أن يكون: رجلا، عدلا، حافظا لأم القرآن، عالما بأحكام الصلاة، سليم اللفظ من نقص أو لثغ.

فالذكورية شرط لصحة الإمامة. قال في المغني: وأما المرأة فلا يصح أن يأتم بها الرجل بحال، في فرض ولا نافلة في قول عامة الفقهاء، ثم استدل بقوله صلى الله عليه وسلم:"لا تؤمن امرأة رجلا،ولا فاجر مؤمنا إلا أن يقهره بسلطان،أو يخاف سوطه أو سيفه". [2] [3].

وذكر أيضا أن الخنثى لا يجوز أن يؤم رجلا، لأنه يحتمل أن يكون امرأة، ولا خنثى مثله، لأنه لا يجوز أن يكون الإمام امرأة والمأموم رجلا [4].أما إمامة المرأة للنساء مثلها فلا بأس بذلك.

والعدالة تعني أن يكون مؤمنا تقيا، ذا عقيدة سليمة، وسلوك مستقيم.

وأما القارئ الفقيه، فأقل ما فيه –كما مر – حفظ أم القرآن، والعلم بأحكام الصلاة، وأما السليم في لفظه من النقص واللثغ فهو بين واضح: يقول الإمام رحمه الله: وأما من لا يقيم قراءة الفاتحة فلا يصلي خلفه إلا من هو مثله، فلا يصلى خلف الألثغ الذي يبدل حرفا بحرف إلا حرف الضاد إذا أخرجه من طرف الفم كما هو عادة كثير من الناس، فهذا فيه وجهان، منهم من قال لا يصلى خلفه، ولا تصح صلاته في نفسه.. والوجه الثاني: تصح، وهذا أقرب؛ لأن الحرفين في السمع شيء واحد، وحس أحدهما من جنس الآخر لتشابه المخرجين، والقارئ إنما يقصد الضلالة المخالفة للهدى، وهو الذي يفهمه المستمع، فأما المعنى المأخوذ من ظل فلا يخطر ببال أحد، وهذا بخلاف الحرفين المختلفين صوتا ومخرجا وسمعا، كإبدال الراء بالغين، فإن هذا لا يحصل به مقصود القراءة.

هذا تخليص أو موجز لأننا لسنا بصدد الحديث عن شروط الإمامة ولكن لابد من بيانها من باب إتمام الفائدة وعلى القصد ومنه التوفيق.

([1])الأحكام السلطانية ص 97، وكذلك الأحكام السلطانية للماوردي ص 179.

([2]) ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1081).

([3])رواه ابن ماجه في باب في فرض الجمعة1 / 343.

([4]) المعنى لابن قدامة(ج 3/ص 33، 34).

ثالثا: مسئولية إمامة المسجد:

تقع على عاتق إمام المسجد مسئولية عظيمة منها:

1): القدر المشترك من المسئولية التي لا يصح للإمام أن يفرط في مسئوليته:

إذا كانت المسئولية مرتبطة بوسع الإنسان وطاقته لأنها تكليف، والله لا يكلف نفسا إلا وسعها، فإن الأئمة كما هو معلوم ليسوا على درجة واحدة من القدرات والمواهب حتى نوحد مسئولية الجميع، مغفلين تفاوت قدراتهم وتباين مواقعهم؛ ذلك أن منهم الإمام العالم، ومنهم طالب العلم، ومنهم دون ذلك، بل لا أبالغ إذا قلت بأن منهم من هو في عداد الأميين الذين لا يحسنون قراءة الفاتحة، وإذا أحسنوا القراءة فإنهم لا يعلمون كثيرا من أحكام الصلاة على الوجه الذي يمكنهم من القيام بالإمامة على وجهها الصحيح.وبناء على ما تقدم فإن المسئولية تختلف باختلاف أحوال الأئمة، وهذا ما سأفصل الحديث فيه فيما بعد، ولكنه يوجد قدر مشترك من المسئولية يتحمله الجميع بمختلف أحوالهم، ولا يصح لأي إمام أن يفرط في هذا القدر من المسئولية بغير عذر ويمكن إجمال هذا القدر المشترك في الأمور الآتية:

أ- الإمام مكلف من قبل ولي الأمر بعمل أعطي عليه رزقا [1] ليقوم به على النحو الذي طلب منه، إمامة الفروض، أو إمامة الفروض والجمعة، أو إمامة الجمعة فقط، أو إمامة الاحتياط متى ما احتيج إليه في أي وقت، أو إمامة بعض الفروض، والمهم في هذا كله أنه قد أسند إليه عمل، وأعطي عليه رزقا معينا، فهل يصح له أن يتساهل في هذا العمل؟ إن تساهله في أداء هذا العمل الذي قد اؤتمن عليه يعد إضاعة للأمانة وتفريطا يؤاخذ عليه، وربما يكون قدوة سيئة لبعض الناس يقتدون به في إضاعة أعمالهم، والتفريط في أماناتهم فيكون عليه وزر التفريط في العمل، ووزر الاقتداء به في ذلك.

ولقد شاع في الناس مقولة القائلين بأن إمامنا يتخلف عنا أوقاتا كثيرة، ورأينا من اقتدى بإمامه في إضاعة العمل الذي أسند إليه؛ ذلك أن الإمام قدوة، وله عند الناس مكانة تجعلهم ينظرون إليه دائما في أقواله وأفعاله، فإما نظرة حب وإعجاب فهو قدوة حسنة، وإما نظرة بغض وازدراء فهو قدوة سيئة لضعيف الإيمان وهو على من عداهم ثقيل غير محتمل.

([1]) الفرق بين الأجر والرزق أن الأجر يؤخذ من شخص بعينه على المساومة والمعاوضة، أما الرزق فيؤخذ من بيت المال أو من الأوقاف العامة المحبسة على مصالح المسلمين، وإقامة شعائر الدين، وليس فيه مساومة ولا معاوضة عن أداء الصلاة التي هي أفضل القرب، تعليق الشيخ محمد حامد فقي حاشية الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص 98.

ب- كسب قلوب الناس، وجعلهم يحبون التردد على المساجد، ويحافظون على الجماعة مطلب عظيم لا يخفي على أحد ثمراته الطيبة، وضد ذلك مفسدة يجب دفعها، وقطع أسبابها، وهذه مسئولية الإمام الذي إذا اخلص نيته، وفقه سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في مراعاة أحوال المصلين بحيث لا يشق عليهم فيطيل بهم ويفتنهم وينفرهم، فإنه يكون بذلك محببا ومؤثرا في الناس ومرغبا لهم في هذا الفضل العظيم. ولذا حث النبي صلى الله عليه وسلم على التجوز، وحذر في موعظة قوية من التنفير، فقد جاء عن أبي مسعود رضي الله عنه أن رجلا قال: والله يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا، قال أبو مسعود: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في موعظة أشد غضبا منه يومئذ، ثم قال:"إن منكم منفرين فأيكم صلى بالناس فليتجوز فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة".[1] [2].

وعن جابر رضي الله عنه:" أن معاذا رضي الله عنه كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرجع فيؤم قومه، فصلى العشاء، فقرأ بالبقرة فانصرف الرجل فكأن معاذا تناول منه، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " فتان فتان فتان (ثلاث مرات) أو قال: فاتنا فاتنا فاتنا، وأمره بسورتين من أوسط المفصل".[3]، قال عمرو لا أحفظهما " [4]. ومن هذه النصوص ندرك أن تطويل الصلاة فتنة وتنفير للناس عن الصلاة في جماعة، ولا يخفي ما في هذا من المفاسد، والتسبب في تعطيل الواجب، وحرمان الناس من فضل الجماعة، ولذلك غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا كما في حديث أبي مسعود، ووصف معاذا بأنه فتان بهذا الصنيع لكي يحذر منه.

ولا يعني هذا أن يخفف الإمام الصلاة إلى درجة إسقاط الواجب بحجة مراعاة الناس كما يفعل بعض الأئمة، فإن في هذا مفسدة أعظم، ولكن الأمر يعني التزام الوسطية في الأمر، والشعور بالمسئولية وهو يؤدي هذا العمل، ومحاولة كسب الناس، والعمل على أن يحبب لهم

([1]) البخاري الأذان (670)، مسلم الصلاة (466)

([2])البخاري في كتاب الأذان، باب تخفيف الإمام في القيام وإنما الركوع والسجود انظر فتح الباري 2 / 197.

([3]) البخاري الأذان (669)، مسلم الصلاة (465)، الترمذي الجمعة (583)، النسائي الإمامة (835)

([4])البخاري في كتاب الأذان باب إذا طول الإمام وكان للرجل حاجة فخرج فصلى انظر فتح الباري 2 / 192 وفي ص 195 أن عمرا هو عمرو بن دينار، وكأنه قال ذلك في حال تحديثه لشعبه.

القيام بما فرض الله عليهم، مع إتمام الصلاة في جميع ما أوجبه الله فيها من القراءة والطمأنينة، وإتمام الركوع والسجود، والتسبيح والتحميد وسائر ما يجب فيها.

يقول ابن حجر رحمه الله عند تناوله حديث معاذ: وفي حديث الباب من الفوائد استحباب تخفيف الصلاة مراعاة لحال المأمومين، وأما من قال: لا يكره التطويل إذا علم رضاء المأمومين فيشكل عليه أن الإمام قد لا يعلم حال من يأتي فيأتم به بعد دخوله في الصلاة كما في حديث الباب، فعلى هذا يكره التطويل مطلقا إلا إذا فرض في مصل بقوم محصورين راضين بالتطويل في مكان لا يدخله غيرهم [1].

وقد أشار رحمه الله في موضع آخر أن هذا افتراض لا يناط به الحكم، فإن الأحكام؛ إنما تناط بالغالب لا بالصورة النادرة، وعلى هذا ينبغي للأئمة التخفيف مطلقا[2].

ويرد إشكال يحتاج إلى توضيح، وهو وضع حد للتخفيف حتى لا يقع الإمام في محظور أعظم من المحظور المترتب على التطويل كما سبق التنبيه عليه، وقد ذكر ابن حجر عن ابن دقيق العيد أن التطويل والتخفيف من الأمور الإضافية، فقد يكون الشيء خفيفا بالنسبة إلى عادة قوم طويلا بالنسبة لعادة آخرين.

قال ابن حجر: قلت وأولى ما أخذ حد التخفيف من الحديث الذي أخرجه أبو داود والنسائي عن عثمان بن أبي العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له:"أنت إمام قومك، وأقدر القوم بأضعفهم". [3] إسناده حسن وأصله في مسلم [4]. ومن هنا نأخذ أن الإمام يقدر الأمر بنفسه، فهو أعرف بجماعته، وأقدر القوم بأضعفهم، وهنا تقع المسئولية عليه في تقدير الأحوال، وأخذ الحيطة والحذر أثناء قيامه بهذا العمل الجليل والله أعلم.

اكتساب ثقة ومحبة الناس لإمامهم مبنية على ثقتهم به، وعظم مكانته عندهم، ومن ثمرات ذلك تأثير الإمام في المأمومين واستماعهم لتوجيهاته، وانشراح صدورهم لما يقوله أو يريده منهم، وهذا – في تقديري – يعد جزءا مهما من مسئولية الإمام، فالمصلون يثقون بالإمام الكفء، صاحب السيرة الحميدة، والخلق الحسن، الذي يقول ويعمل، ويلتزم

([1]) فتح الباري بشرح صحيح البخاري،ابن حجر(ج2/ص 197)مرجع سابق..

([2]) المرجع السابق(ج2/ص199).

([3])مسلم الصلاة(468)،النسائي الأذان(672)، أبو داود الصلاة(531).

([4]) المرجع السابق(ج2/ص199)

في أقواله وأعماله هدي المصطفي صلى الله عليه وسلم ويقتدي به في خلقه الحسن، وصفاته العظيمة من الصبر، والشفقة، والحلم والعدل، والكرم، والحياء والصدق، وسائر الأخلاق الحميدة.

2) مسئولية الإمام العالم:

إن ما أشرت إليه سابقا هو قدر مشترك من المسئولية التي يشعر بها كل إمام لبيب ويحس بها كل عاقل فطن، فيولي العمل اهتماما وعناية، ويحرص على أداء هذا الواجب، والقيام بهذه الأمانة مستعينا بالله، محتسبا راغبا في ثوابه ونيل مرضاته.

أما ما يلزم بعض الأئمة دون بعض فإنه يرتبط بذات الشخص، ومركزه في الناس، وبالمجتمع المحيط به الذي يحمل بعض أفراده قدرا من العلم، والثقافة والمراكز المرموقة في المجتمع.

فالإمام العالم الذي يشار إليه بالبنان، ويؤخذ عنه العلم والفتوى ويقصد مسجده جمع كبير من الناس فيهم طلاب العلم، والمثقفون، وذوو المكانة، وغيرهم، يتحمل من المسئولية قدرا أعظم ممن ليس كذلك؛ ولهذا لما قيل لعبد الملك بن مروان رحمه الله عجل بك الشيب قال: وكيف لا وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة [1]؛ ذلك لأنه علم عظم المسئولية، وأن دور الإمام الذي على شاكلته ليس محصورا في إمامة الناس في الصلاة، وإنما هو في دور المعلم، والمربي، والمفتي، والمصلح، والمحذر من المنكر قبل أن يقع، والداعي لإزالته إذا وقع، والعامل على حل المشكلات التي تورث الخصومات والملتمس لأحوال الفقراء والمساكين، وتوجيه النداءات لمساعدة المنكوبين والمصابين، وبإجمال يعيش آمال الأمة وآلامها، وتلك والله مسئولية جسيمة لا يدركها إلا العظماء، من العلماء العاملين الذين هم مبعث خير، ومصابيح هداية، وأدلة طريق فهم لإخوانهم كالشمس للدنيا، والعافية للبدن كما قال الإمام أحمد في الإمام الشافعي رحمهما الله تعالى.

ومن المعلوم أن العلماء ورثة الأنبياء وهم دعاة إلى الله.

فإذا أنعم الله على الأمة بتولي علمائها لإمامة المساجد فتلك من نعم الله العظيمة التي تعد بإذن الله تعالى من أهم وسائل النجاة من عقوبة الله وغضبه.

([1]) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي 4 / 248 تحقيق شعيب الأرناؤوط ومأمون الصاغرجي.

وإذا كانت رسالة العالم في الأصل عظيمة فإنها تزداد حين يتولى الإمامة، وإمامته ليست قاصرة على القيام بالخطب والمواعظ، وإنما هي تعليم في مختلف علوم الشريعة، وغيرهما من علوم الغاية أو الوسيلة التي يحتاجها الناس بمختلف فئاتهم.

وعندما يقوم العالم الإمام بمسئوليته، ويؤدي دوره القيادي في المجتمع، وفق هدي المصطفي صلى الله عليه وسلم يظهر أثر على المجتمع، إذ المساجد جامعات عظمى يتخرج فيها العلماء العاملون، والرجال الصالحون، الذي يسيرون في الناس سيرا حسنا، وينهجون نهجا عظيما.

الفرع الثاني

مسئولية الإمام(الحاكم):

كلمة (الإمام) يراد بها كل من هو قدوة مؤتم به، أي: أنه قائد لغيره، وأن الناس يقتدون به ويأتمون بأفعاله، ولذلك يسمى كل القادة أئمة، سواء كان الاقتداء بهم في الخير أو في الشر، قال الله تعالى في أهل فرعون: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ}([1]) فسماهم أئمة مع أنهم يقتدى بهم في النار، وقال تعالى في ذرية إبراهيم: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ}([2]).؛ فأخبر بأنهم أئمة يقتدى بهم في الخير، وقال في بني إسرائيل:{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا}([3]) وحكى الله تعالى عن المؤمنين أنهم دعوا وقالوا في دعائهم:{رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}([4]) أي: قدوة في الخير يؤتم بنا فيما هو خير وما هو من أسباب التقوى، للمتقين خاصة، وقوله: (إماماً)، أي: أئمة. وكذلك قال الله تعالى لإبراهيم: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا}([5]) ، فأخبر بأنه جعله للناس إماماً، أي: قدوة يقتدى به في الخير، ولذلك سأل ربه فقال: {وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ

---

[1])سورة القصص:41.

[2]) سورة الأنبياء:73.

[3]) سورة السجدة:24.

[4]) سورة الفرقان:74.

[5]) سورة البقرة:124.

عَهْدِي الظَّالِمِينَ}([1]) ، فهكذا أخبر بأنه جعله للناس إماماً، والإمام هو القدوة، وهو معنى قوله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً}([2]) يعني: قدوة في الخير يقتدى به.

هذا تعريف عام لمعنى الإمامة ولكننا سنصب كلامنا هنا على الإمام بمعنى الحاكم والحاكم هو صاحب الولاية العامة على شؤون الناس عامة، وهو الرئيس أو الملك المكلف منهم بتطبيق شرع الله وتنفيذ أحكامه والالتزام بها، والحرص على تحقيق مصالحهم جميعاً بحفظ حقوقهم، وتأمين حاجاتهم، والعمل على حفظ أمن الدولة واستقرارها، سواء على الصعيد الداخلي أو الصعيد الخارجي. وقد حذر الإسلام الحاكم من أي تقصير في القيام بمسؤولياته، وقرر مبدأ المسائلة والمحاسبة عليها.

وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث المسئولية أعني به الحديث السابق كلكم راع....الحديث وضع صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف – الذي هو من جوامع كلمه، كل فرد من أفراد المسلمين – حاكمين ومحكومين، ذكراناً وإناثا، مخدومين وخادمين – أمام مسئوليته المنوطة به، حسب منصبه ووظيفته.

فكل فرد مسلم يعتبر راعياً ومرعياً في وقت واحد، عليه حقوق يجب أن يؤديها لأهلها، وله واجبات يجب أن تؤدى إليه.

فالمقصود من الحديث استغراق كل أفراد المسلمين بذكر أعلاهم وأدناهم، ووسطهم ..وإذا كان المراد من الحديث العموم، والتنصيص على من ذكر أريد به التمثيل، فلنبدأ بالكلام على الأصناف الأربعة – حسب ترتيبهم في الحديث – فالراعي والرعية يدان تتعاونان على خير الأمة، ورعاية مصالحها، وكفالة الأمن على حياة الناس وأعراضهم وأموالهم، ولا يستقيم أمر الأمة، ولا تتسق شئونها إلا إذا قام كل من الحاكم والمحكوم بمسئولياته، وأخلص المعاونة لصاحبه، ولكي تنجح الأمة في مسيرتها وتحقق غايتها لا بد من أن ينهض كل بمسئولياته.

ومن هذا المنطلق جعل الله على كل أمة حاكم يتولى أمورها، وجعل له حقوق وعليه واجبات أي أنها حلقة متصلة الطرفين بين الحاكم والمحكوم حتى يتمكن كل من القيام

---

[1]) سورة البقرة:124.

[2]) سورة النحل:120.

بمسئوليته على الوجه الأكمل.

أولا: حقوق الإمام(الحاكم) على الرعية:

سبق تعريف الإمامة ولكن ما نخصه بالحديث هنا وما نعنيه من التعريف هو حاكم المسلمين، وهو أميرهم العام الذي يدينون له بالولاء والطاعة، لقيامه فيهم بشرع الله، وهذا هو المقصود من الحديث، وخليفة المسلمين هو أعلى رعاتهم ومسئوليته أعظم مسئولية، لتعلق حقوق كل الرعية به، ولهذا استحق التقديم في الحديث.

ويُشَبِّه العلماء إمام المسلمين معهم بالقلب مع سائر الأعضاء في الأهمية، انطلاقا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ألا أن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب". ([1])

والأمر كذلك بالنسبة للإمام، فإن غالب رعيته يقتفون أثره ويحاولون محاكاته، ما استطاعوا في الملبس والمسكن والمركب، والعدل والظلم والتواضع والتكبر، والكرم والبخل، والإيثار والإسراف، والحزم والضبط، والفوضى والاضطراب.

ففي صلاحه صلاح رعيته، وفي فساده فسادهم، لأن زمامهم بيده، ومصالحهم تحت تصرفه، يقودهم إلى ما تهواه نفسه، ويميل إليه طبعه، كما أن القلب مصدر صلاح الأعضاء وفسادها لسيطرته عليها.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى على كل رأس في أي مكان مسئوليات وله حقوق حتى يستطيع أن يقوم بمسئولياته على أكمل وجه وأعلى رأس في أي مكان هو رئيس الدولة أو الملك أي الحاكم وهي حقوق كثيرة ولكنها تتلخص في أمور ثلاثة:

الأمر الأول: طاعته في غير معصية الله تعالى:

قال عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}([2])

وقول النبي صلى الله عليه وسلم:"على المرء المسلم، السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن

---

[1]) البخاري (19/1) ومسلم (1219/3) من حديث النعمان بن بشير.

[2])سورة النساء:59.

يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة".([1])

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك، وأثرةٍ عليك".([2])

والنصوص في هذا كثيرة، ويتضح منها جميعا أنه يجب على الرعية طاعة إمامها فيما تحب وتكره، ما لم يأمرها بمعصية الله، فإن أمرها بها وجب عليها أن ترفض طاعته لأنها إنما تطيعه، رغبة في رضي الله عنها، ورهبة من غضبه عليها، فإذا أمرها الإمام بما يسخط الله فقد سلك غير سبيله وطلب ما لا حق له فيه.

الأمر الثاني: بذل النصيحة له:

بتوجيهه إلى الخير، وتشجيعه عليه، وتقويمه إن عدل عنه وذلك بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، بالتي هي أحسن، بأن يذكروه بحقوق الله عليه، ثم بحقوق رعيته حيث أخذ منهم البيعة على الطاعة في غير معصية وأخذوا منه العهد بالقيام بشريعة الله حتى يكون دائماً في حذر من الوقوع فيما يعود عليه وعلى رعيته بشرٍ في دينهم ودنياهم. وقد أسس لهذا المبدأ ثاني أنين إذ هما في الغار عندما ولي أمر المسلمين فقال:إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن استقمت فأعينوني وإن اعوججت فقوموني.([3])

الثالث: عدم الخوض فيه في الأماكن العامة:

مثل المساجد، ووسائل الإعلام المختلفة، وينتهروا من يفعل شيئاً من ذلك، ويمسكوا عن حض الناس على القيام ضده لخلعه ونبذ طاعته، ما دام قائماً بأحكام الإسلام معترفاً بأنها حق، غير جاحد ولا مستهزئ.

لأن اغتياب الإمام والحث على الخروج عليه فيه خطر عظيم، من إثارة الفتن والقلاقل التي لا يستطاع ردها ولا دفعها، كما أن ذلك ليس من سيرة علماء المسلمين العالمين بأحكام الإسلام.

ولهذا بالغ النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن الخروج على الأئمة أو ارتكاب الأسباب المؤدية إلى ذلك. روى مسلم في صحيحه من حديث عوف بن مالك رضي الله

[1]) البخاري (105/8) ومسلم (1469/3).

[2]) مسلم (1467/3).

[3]) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، للسهيلى 556/7 تحقيق عبد الرحمن الوكيل.

عنه قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :"خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم – أي تدعون لهم ويدعون لكم – وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم) قال: قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم؟ قال:"لا.. ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة".([1]) فقد نهى في هذا الحديث عن منابذة أئمة هم شرار أئمة المسلمين ما داموا يصلون، وفي بعض الروايات:"إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم فيه من الله برهان".([2]) والحكمة في النهي عن الخروج على الأئمة، والأمر بالصبر على ظلمهم وفسقهم واضحة جداً، فإن المصائب والمفاسد الحاصلة بسبب الخروج عليهم من سفك للدماء ونهب للأموال واستباحة للأعراض، أعظم من ظلمهم، وما على المرء إلا أن يستعرض صفحات التاريخ قديماً وحديثاً ليري صدق ذلك.

ثانيا: حقوق الرعية على الحاكم:

وكما أن للإمام حقوقاً على رعيته، فإن للرعية حقوقاً عليه يجب أن يقوم بها خير قيام لأنها من صميم مسئولياته.

وخلاصتها: أن يجتهد في تحصيل ما ينفعهم ودفع ما يضرهم في دينهم ودنياهم ويبتعد عن غشهم وخيانتهم..ولا يتحقق له ذلك إلا بأمور:

1) التسوية بين الرعية:

أمر الله الحاكم بالعدالة حتى يسوي بين الناس جميعا. قال تعالى:{وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى}([3])

وقال تعالى:{يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى}([4])

وقال صلى الله عليه وسلم لأهل بيته: «يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة

---

[1]) مسلم (1481/3).

[2]) مسلم (1470/3) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

[3]) سورة المائدة: 8.

[4]) سورة ص:20.

بنت محمد، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئا».([1])

هذا الينبوع الفياض الغزير سرت منه العدالة إلى الخلفاء والولاة من بعده.

2) رعاية مصالح الناس:

على الحاكم رعاية المصالح الدينية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية بإقامة المساجد، وإنشاء المدارس للتعليم، ونشر المستشفيات للعلاج، وشق الترع لإحياء الأرض، وتكوين المجتمعات اهتماما للزراعة والصناعة والتجارة، وفتحا لمجالات العمل أمامهم.

قال ابن عمر: إنّ رفقة من التجار نزلوا المصلى، فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن تحرسهم الليلة من السرقة؟ فباتا يحرسان ويصلّيان ما كتب الله، فسمع عمر في جوف اللّيل بكاء طفل فتوجّه نحوه وقال لأمّه: اتّقي الله، وأصغي إلى طفلك.

ثم عاد إلى مكانه. فسمع بكاءه، فعاد إلى أمه وقال مقالته، وعاد إلى مكانه، فلمّا كان آخر الليل سمع بكاء الصبي، فقال لأمّه: ويحك، مالي أرى ابنك لا يقرّ منذ الليلة؟ قالت: وهي لا تعرفه- يا عبد الله، قد أبرمتني طول الليل، إنّي أعالجه على الفطام فيأبى إلّا رضاعا. قال عمر: ولم؟ قالت: لأنّ عمر لا يفرض إلا للفطيم. قال: وكم لابنك؟ قالت: كذا وكذا شهرا. قال لها: ويحك لا تعجليه. ثم صلى الفجر، وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء!! فلمّا انتهى من صلاته قال: يا بؤسا لعمر! كم قتل من أولاد المسلمين؟ ثمّ أمر مناديا ينادي: لا تعجلوا صبيانكم على الفطام، فإنّا نفرض لكل مولود في الإسلام.([2])

3) حسن اختيار البطانة:

حسن اختيار الأعوان من الأمناء المخلصين ذوي الدّراية والكفاية مما يحقق الغايات والأهداف.ويزيل من دنيا النّاس الوساطة والمحسوبية والرشوة.قال صلى الله عليه وسلم:«من ولي منكم عملا فأراد الله به خيرا جعل له وزيرا صالحا،إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه»([3])كما في حديث أبي سعيد وأبي هريرة الصحيح:"ما بعث الله من نبي ولا استخلف

---

[1]) صحيح الجامع برقم(7982)عن عائشة رضي الله عنهما.

[2]) خلفاء الرسول، خالد محمد خالد، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، والبداية والنهاية، لابن كثير.

[3]) صحيح جامع الترمذي برقم(6596) من حديث عائشة.

من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله".([1])

وقال عمر لبعض عماله:إنيّ لم أستعملكم على أمّة محمد، على أعشارهم ولا على أبشارهم- جلودهم- وإنّما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة، وتقضوا بينهم بالحق، وتقسموا بينهم بالعدل، لا تجلدوا المسلمين فتذلوهم، ولا تضيعوا حقوقهم فتفتنوهم. والنتائج المترتبة على اختيار جلساء الخير عظيمة، وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك وحذر من اتخاذ جلساء السوء، وأحرى الناس باختيار الجليس الصالح واجتناب جليس السوء هم ولاة الأمر؛ لأن خيرهم وشرهم يعمان كل الرعية، ولهذا قرنهم النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء.والبطانة في عصرنا الحديث تعني التشكيل الوزاري أي الحكومة.

4) إعطاءه القدوة الحسنة:

الحاكم سوق ما راج عنده راج عند الناس. حينما عهد أبو بكر لعمر بالخلافة أوصاه قائلا: اعلم أنّهم لن يزالوا منك خائفين ما خفت الله.

وقال عمر في خطبة له بعد توليته: من رأى في اعوجاجا فليقومه، فقال أعرابي:والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقوّمناه بسيوفنا. ومن شدة حرصه على مال الدولة وخوفه من سؤال الله عن الأموال العامة يقول: لو ماتت(أو عثرت) شاة على شط الفرات ضائعة لظننت أنّ الله سائلني عنها يوم القيامة. ([2])

5) توفير أسباب الأمن الداخلي والخارجي:

ويحصل ذلك بإعداد رجال ألجيش والشرطة على أكمل وجه، بالوسائل التي تكفل المطلوب وتجهيز الجيش الكافي المزود بالأسلحة المستطاعة.

امتثالاً لأمر الله تعالى في كتابه: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ}([3])

---

[1]) البخاري (121/8).

[2]) المصدر السابق

[3]) سورة الأنفال:60.

فالجيش الإسلامي محور أمن الأمة الظاهر واستقرارها أو خوفها واضطرابها، هم الجند الذين بأيديهم السلاح على اختلاف أنواعه..إن حملوه لحراسة البلاد وأهلها، مع حكمة وحزم وتصرف شريف، كان الناس في غاية من السعادة والرخاء، حيث ينصرف كل منهم إلى قضاء حوائجه والاشتغال بمهماته، فتزدهر بذلك البلاد وتنال مرادها، من الرقي والقوة في كل مجالاتها..

إذا عرفنا هذا علمنا أهمية العناية بجند المسلمين، لنصل بهم إلى الغاية المنشودة للبلاد الإسلامية وأهلها من أمن واستقرار، وقوة مادية ومعنوية، حتى تزدهر البلاد ويقف أهلها في وجه العدو المتربص بها.. والإسلام يوجب على أهله أن يكون جندهم من القوة في المستوى الذي يرهب عدوهم..ولكل زمان قوته المناسبة له من الأمور التي يجب الاعتناء بتحقيقها في الجيش الإسلامي ولا تتوقف القوة والإعداد على التدريب والأسلحة فقط بل لابد من غرس الدين والأخلاق في عقل وقلب كل جندي حتى تسمو روحهم ويخلصوا ويضحوا من اجل دينهم ووطنهم.

وبالجملة فكل ما يجلب للرعية نفعاً أو يدفع عنها ضرراً في الدنيا والآخرة، فهو من أوجب مسئوليات الحاكم ما دام يستطيع ذلك.

ثالثا: التحكيم لشرع الله في كل شيء:

الحلال ما أحله الله وليس لأحد تحريمه، والحرام ما حرمه الله وليس لأحد تحليله...، والتحديد في كل ذلك يرجع إلى القواعد الإسلامية.

والمعنيون بالبحث والموازنة بين المصالح والمفاسد، هم علماء الأمة المعروفون بالورع والتقوى وخشية الله، والتضلع من العلوم الإسلامية أصولها وفروعها، الذين لا يخافون في الله لومة لائم، يضاف إليهم أهل الاختصاص في الشئون التي لا يصح تصورها إلا عن طريقهم، كالطب والفلك والاقتصاد، وشئون الحرب....هؤلاء هم الذين يجب أن يسند إليهم البحث في مصالح الناس ومضارهم، وهم أهل الحق في تعيين المصلحة والمفسدة، وعلى ضوء بحثهم واجتهادهم يجب على الإمام أن ينفذ ما أشاروا به.فقد حسم الله في كتابه أمر الأهواء والاختلاف بين الناس، رعية ورعاة، كما قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ

الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }([1])

قال رحمه الله: فليس حسن النية بالرعية والإحسان إليهم: أن يفعل ما يهوونه ويترك ما يكرهونه فقد قال الله تعالى:{وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ}.

وَقَالَ تَعَالَى لِلصَّحَابَةِ: {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ}([2])

وإنما الإحسان إليهم فعل ما ينفعهم في الدين والدنيا ولو كرهه من كرهه؛ لكن ينبغي له أن يرفق بهم فيما يكرهونه.

كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول:"والله إنّي لأريد أن أخرج لهم المرة من الحق فأخاف أن ينفروا عنها، فاصبر حتى تجيء الحلوة من الدنيا فأخرجها معها، فإذا نفروا لهذه سكنوا لهذه".وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه طالب حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور مِن القول....".

الفرع الثالث

مسئولية الرجل عن الأسرة

لقد خلق الله الناس من ذكر وأنثى وجعل لكل حقوق وعليه واجبات بل وجعل لك نوع مسئوليات تتماشى مع تكوينه الفكري والبدني حمّل الله الرجل مسئولية الزوجة والأولاد، وجعل له القوامة عليهم من حيث الإنفاق والرعاية والتربية الإيمانية والحث على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أولا:مسئوليته عن الأبناء:

الأولاد ثمرات الفؤاد، حبات القلوب، وهم أسرار الآباء وسر سعادتهم وعنوان فرحتهم.وقد جعل الله حب الأبناء فطرة في جميع الأحياء.

---

[1]) سورة النساء:59.

[2]) سورة الحجرات:7.

ولابد من الاعتناء بهم، فهم أمل بلادنا وقوام مستقبلها، وهم أمانة في أعناقنا، وغرس أيدينا.. ما نزرعه فيهم نجنيه منهم، وما نربيهم عليه ونبثه فيهم من قيم ومبادئ، أو نعلمه لهم من معارف وقناعات ومفاهيم يساهم بشكل لا يمكن لأحد أن يجادل فيه في تكوين شخصياتهم وتشكيل سلوكياتهم، فالأبناء يولدون صفحة بيضاء ينقشها الآباء والأمهات.

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة، فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه، وسَعِدَ في الدنيا والآخرة، وإن عُوِّد الشر، وأُهْمِل إهمال البهائم شقي وهلك.. وصيانته بأن يؤدِّبَه، ويهذبه، ويعلمه محاسن الأخلاق .."."([1])

وقال ابن خلدون: التعليم في الصغر أشد رسوخاً، وهو أصل لما بعده.

فمن هذا المنطلق كان من الأولى أن لا ننبه الآباء عن مسئولياتهم عن الأبناء ولكن لجهل الكثير من الآباء بحقوق الأبناء أو لانشغال الآباء بأعمالهم عن تربية الأبناء وتحمل مسئولياتهم وأحيانا دفعهم إلى مربيات ربما تكون كافرات، أو تركهم وعدم متابعتهم هو الذي يدفع للتنبيه على هذه المسئولية المجتمعية الخطيرة بل هي بحق أولى المسئوليات وأشدها خطرا وأعظمها أثرا وأشدها نفعا وذلك لأن أولاد اليوم أطفال الغد شباب بعد غد رجال المستقبل وحملة المشعل قادة الأمم وهم الأساس الذي يبنى عليه بناء الأمم.

إن الاعتناء بهذه البذرة التي بذل الأب في سبيلها الغالي والنفيس حتى حصل عليها، مطلب مهم فهو زرع، وعليه التعهد بالسقيا والرعاية والملاحظة المستمرة، ولا توكل أمره كله للغير فالثمرة له وهو الذي سيتذوق حلاوتها فلا يتركها بدون رعاية إما أن تذبل وتيبس، أو تستوي على ساقها وتذبل وتسقط، وفي الحالين لا يستفاد منها.

فالأب المربي الأول للابن يعرف منشأه، ومدرج صباه، وعليه أن يشعل زناد فكره، ويوقظ جذوة مشاعره، ويوقد شرارة عقله، ليكون بارقة أمل يلوح، ويهطل وابلا من نور العلم على أرض الجهل والضلال فيحيلها أرضا ذات مروج،وأنهار وأشجار وأزهار، ويبقى ساطعا في سمائها كالقمر ليلة البدر، وعليه أن يعرف ابنه ويكتشف كنوزه ويستثمرها.

[1]) إحياء علوم الدين للغزالي (4/ 394- 395)

إن تعويد الطفل على ضبط رغباته، والتحكم في شهواته منذ صغره، وتكلف المشقة التي يحتملها في التعود على بعض العبادات قبل بلوغه التكليف قد جاء الشرع به؛ فهو يؤمر بالصلاة لسبع، ويُضرب عليها لعشر، كما يؤمر بالصوم حتى يتعوده عند بلوغه.

يقول ابن القيم رحمه الله في المودود بأحكام المولود:"وينبغي لوليه أن يجنبه .. الكسل والبطالة والدعة والراحة، بل يأخذه بأضدادها، ولا يريحه إلا بما يجمّ نفسه وبدنه للشغل، فإن للكسل والبطالة عواقب سوء، ومغبة ندم، وللجد والتعب عواقب حميدة، إما في الدنيا وإما في العقبى، وإما فيهما؛ فأروح الناس أتعب الناس،وأتعب الناس أروح الناس، فالسيادة في الدنيا والسعادة في العقبى، لا يُوصَلُ إليها إلا على جسر من التعب.

إن الناظر في حال الأمم يجد أنه ما من أمة ترقت في مراتب المجد وسطرت اسمها على صفحات التاريخ إلا كان وراء ذلك عمل كبير وتضحيات جسام، وبذل للجهد والعرق في كل الميادين.

إن الأمم لا تكون كذلك بغير تحمل أبنائها لمسؤولياتهم على الوجه الأكمل، واستعداد الشباب والناشئة للبذل والتضحية والعطاء، مما يجعلنا نتبين خطورة إهمال الناشئة وعدم تربيتهم على الجد واستشعار المسؤولية.

وإذا نظرنا إلى أحوال السابقين من أمتنا نجد أنهم أعطوا هذا الأمر ما يستحقه من العناية بحيث نشأ أبناؤهم نشأة سوية تحملوا المشاق والصعاب دون كلل أو ملل، وبذلوا لهذا الدين ولرفعة الأمة دون مَنٍّ. فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يربي أسامة بن زيد على يديه، ثم في سن السابعة عشرة أو التاسعة عشرة يكلفه النبي صلى الله عليه وسلم قيادة جيش فيه أبو بكر وعمر، وينتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه وينفذ أبو بكر بعث أسامة فيتحمل المسؤولية ويمضي في مهمته ويعود منها محققا الغاية التي من أجلها أرسل الجيش وتعجب حين تعلم أن الصحابة كانوا يقولون بعد ذلك: ما رأينا أسلم من بعث أسامة؛ ذلك أن الله تعالى قد حفظ أفراد الجيش حتى رجعوا سالمين.

ويجلس عن يمينه يوما الغلام عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وعن يساره أبو بكر فيشرب النبي صلى الله عليه وسلم ثم يستأذن ابن عباس أن يناول الإناء الصديق يقدمه عليه فيرفض ابن عباس أن يؤثر بنصيبه من رسول الله أحدا، وإن كان يكبره في السن والفضل،

فيتربى الغلام على الشجاعة الأدبية والجرأة في الحق، وهكذا حتى يصير حبر الأمة وترجمان القرآن.

وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان عمره إحدى عشرة سنة تقريبًا حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان يحضر مجالس الكِبار ويحضر مناسبات المسلمين في المدينة، فلما كبر أصبح علما من أعلام المسلمين. وهو الذي يقول: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أخبروني بشجرة تشبه أو: كالرجل المسلم، لا يتحات ورقها".، قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئًا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هي النخلة" ، فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه، والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة، فقال: ما منعك أن تكلم؟! قال: لم أركم تكلمون فكرهت أنْ أتكلم أو أقول شيئًا، قال عمر: لأن تكون قلتَها أحب إلَيَّ من كذا وكذا؛([1]) هكذا يشجعه أبوه ويعوده تحمل المسؤولية، ويصبح عبد الله واحدا من أعلام المسلمين حتى فكر بعض المسلمين عند طعن عمر أن يتولى الخلافة ولده عبد الله. وحقوقهم في الحقيقة ليست حقوقاً شخصية فحسب،بل مع كونها نافعة لأشخاصهم نافعة للمجتمع.

نلاحظ من ذلك حرص رسول الله وصحابته الكرام على العناية بتنشئة الأولاد على الأخلاق الفاضلة في وقت الصغر، فإن الأمور التي يطبع عليها الصغير قلما يفارقها في كبره، فينبغي أن يمرن على الصدق والوفاء وعلى الشجاعة والكرم، وإكرام الضيف والجار والشفقة على الضعيف، والاعتماد على النفس في جلب المعاش وغير ذلك من الصفات الحميدة..كما ينبغي أن ينفر من أضداد تلك الصفات وأشباهها.

وقال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا.....على ما كان عوده أبوه

ومن أهم المسئوليات تمرينهم على أداء الشعائر التعبدية، كالصلاة وما يتصل بها من وضوء ونحوه، والوقت الذي يؤمر فيه الصبي بالصلاة هو السابعة من عمره..

[1])رواه البخاري برقم(61)كتاب العلم باب: قول المحدث حدثنا أو أخبرنا وأنبأنا.، ومسلم.

فإذا بلغ العاشرة من عمره وأُمِر بالصلاة ولم يصل، عندئذ يؤدب بالضرب الخفيف حتى يصلي.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع".([1])

وهذا العمل الذي كلف الله الآباء القيام به في حق الأطفال، من أهم محاسن هذه الشريعة في المحافظة على مصالح الأطفال، وتمرينهم على الطاعة قبل أن يبلغوا السن التي يكون مكلفين فيها تكليف إيجاب، وهو احتياط عظيم جداً..

فإن الطفل إذا بُدِئَ بتمرينه على الطاعة قبل سن الرشد، بأربع سنوات أو خمس، لا يأتي وقت تكليفه إلا وهو يعمل ما كُلِّفَه عن طواعية واختيار، ولا يُفَوِّت شيئاً مما يجب عليه.

كذلك من المسئوليات العناية بتعليمهم قراءة القرآن والسنة النبوية وبعض الأحكام الشرعية، وإذا تيسر تحفيظهم إياه فلا ينبغي أن يفرط في ذلك، وإذا لم يتيسر حفظ الجميع فما تيسر منه.

إن من أوجب المسئوليات على الأب تجاه أولاده بتوجيههم إلى تفهم مشكلات الأمة التي تعترضهم، سواء كانت أخلاقية أو سياسية أو اقتصادية أو غيرها، والبحث عن الحلول المناسبة حتى يكونوا أعضاءً نافعين لوطنهم.

وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على تعاون المسلمين فيما بينهم، وجعلهم بمنزلة الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".([2])

---

[1]) صحيح سنن أبي داود برقم495.

[2]) صحيح البخاري (77/7) وصحيح مسلم (1999/4) من حديث النعمان بن بشير.

ثالثا: مسئوليته عن الزوجة:

لما كان المقام مقام بيان مسئولية الرجل، ناسب ذكر مسئوليته عن زوجته وبيان حقوقها عليه، فلنذكر ما تيسر منها باختصار، في المسائل الآتية:

- **المسألة الأولى:العشرة الحسنة:**

من حقوق الزوجة على زوجها، العشرة الحسنة واللطف واللين معها وعدم إغلاظ القول لها والصبر على ما قد يبدر منها مما لا ينبغي من إنكار لنعمة الزوج أو سوء معاملته في بعض الأحيان..

كما ينبغي للزوج عندما يرى منها ما لا يرضاه، مما لا يمس الشرف والعرض أن يذكر إلى جانب ذلك صفات أخرى تعجبه منها، ويجعل الأخلاق الحسنة بمنزلة الماء، والماء يطفئ النار، وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك..فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء".([1])

وعنه رضي الله عنه قال: قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم:"أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائه".([2])

- **المسألة الثانية:النفقة والكسوة:**

من أولى مسئوليات الرجل الإنفاق عليها وكسوتها على قدر حاله من غنى وفقر وما بينهما، ولا يكلف ما لا يطيق، لأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها.. ونفقتها مقدمة على نفقة غيرها..فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك".([3])

---

[1]) البخاري (103/4) ومسلم (1090/2-1091).

[2] أحمد (250/2) والترمذي (457/3)وقال حسن صحيح.

[3]) أحمد (473/2) ومسلم (692/2).

خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف: وإذا لم يعط الزوج زوجته ما يكفيها ويكفي أولادها من النفقة والكسوة، وقدرت على أخذ شيء من ماله، فلها أن تأخذ ما يكفيها ويكفي أولادها دون إسراف ولا تقتير بدون إذنه.

عن عائشة رضي الله عنها: أن هنداً قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: "خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف".([1])

- **المسألة الثالث: العدل بين الأزواج:**

من أكثر المسئوليات التي يهملها الرجل العدل بين زوجاته، إن الله تعالى عندما أباح للرجل الزيادة على الواحدة قيد ذلك بالعدل..فقال تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلا تَعُولُوا}([2])

الفرع الرابع

مسئولية المرأة

لم يكن سهلاً على المرأة المسلمة أن تباشر دورها الإسلامي بكل متطلباته الشرعية الجديدة لولا مراعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحوال النساء وتشجيعهن ومساندتهن على الإقبال على العلم والعمل وتوفير الأسباب لهن وحثهن على ذلك، لأن المرأة في الجاهلية كانت مهضومة الحق بعيده كل البعد عن حقها فكانت تعد جزءاً من المتاع مثلها مثل قطعة منزليه مسخرة في خدمة الرجال فقط ويصف عمر رضي الله عنه ذلك فيقول:(والله أنا كنا في الجاهلية لا نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم)([3])

فجاء الإسلام فرفع من مكانتها وخلد دورها ونظم لها سبيل حياته وساوها في التكليف والواجبات بالرجال وخصهن بما يوافقن طبيعتهن من التكليف ولم يحملهن فوق طاقتهن وكان لنساء الصحابة دوراً في الحياة الإسلامية الأولى بكل صورها.

---

[1]) البخاري (193/6) ومسلم (1338/3).

[2]) سورة النساء:3.

[3]) البخاري صحيح البخاري ح 3 ص 313.

بعد أن حمل الرسول صلى الله عليه وسلم ذكور الأمة الإسلامية مسئوليتهم، شرع في بيان مسئولية نساء تلك الأمة.

أولا:مسئولياتها تجاه زوجها:

لقد رفع الإسلام مكانة المرأة، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه؛ فالنساء في الإسلام شقائق الرجال، وخير الناس خيرهم لأهله.

من أولى المسئوليات التي أناط الإسلام بها الزوجة هي قيامها بحقوق الزوجية،

على المرأة مسئوليات جسيمة إذا قامت بها أسهمت في بناء البيت والأسرة والمجتمع، عليها مسئوليات لزوجها، ومسئوليات تتعلق ببيتها وأخرى تتعلق بأولادها..

فعلى الزوجة مسئوليات كثيرة، ينبغي أن تراعيها، كما كان على الزوج مسئولياته الخاصة به كما سبق وبينا، ولنذكر بعض تلك المسئوليات باختصار، في المسائل الآتية:

- **المسألة الأولى: طاعته في غير معصية..**

هي أول المسئوليات وأهمها فقد ثبت في حديث معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها".([1])

- **المسألة الثانية: إجابته إذا طلبها إلى فراشه..**

ومن أوجب المسئوليات على الزوجة أن تجيب زوجها إذا طلبها إلى فراشه، وعصيانه في ذلك من أكبر المعاصي..لما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبت أن تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح".([2])

- **المسألة الثالثة: حفظ ماله وعدم التفريط فيه..**

من أهم المسئوليات إن لم تكن أهمها على الإطلاق أن لزوجها تحفظ ماله، وعدم التفريط فيه على الإطلاق.

والحديث قد جعلها راعية في بيت زوجها مسئولة عن رعيتها، وليس لها حق أن تتصرف في ماله بدون إذنه، إلا إذا أقتر عليها في النفقة، فأعطاها ما لا يكفيها هي وأولادها، فعندئذ

[1]) صحيح الجامع للترمذي حديث رقم: 5294.

[2]) البخاري (150/6) ومسلم (1060/2).

لها أن تأخذ ما يكفيها وأولادها بدون إذن، لترخيص النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك كما تقدم.([1])

. وقال الآخر: (صالح نساء قريش، أحناه على ولدٍ في صغره، وأرعاه على زوجٍ في ذات يد)([2]).

- **المسألة الرابعة: رعاية بيت الزوجية..**

عن علي رضي الله عنه: "أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى، وبلغها أنه جاءه رقيق، فلم تصادفه فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخبرته عائشة رضي الله عنهما.. قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا نقوم فقال: (على مكانكما) فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني فقال: (ألا أدلكما على خير مما سألتما.. إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما، فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين.. فهو خير لكما من خادم).([3])

- **المسألة الخامسة: إدخال السرور على زوجها**

كما فعلت خديجة رضي الله عنها، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، عندما رجع خائفاً أول ما أوحي إليه وقال: (لقد خشيت على نفسي)..فقالت له: "كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق..". الحديث.([4])

ولقد ضربت زوجة أبي طلحة رضي الله عنهما أعلى مثال في هذا الموضوع..كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "اشتكى ابن لأبي طلحة، قال فمات وأبو طلحة خارج، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئاً ونحته في جانب من البيت، فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح..

---

[1]) البخاري (ومسلم (1338/3)].193/6)

[2]) البخاري (2052/5).

[3]) البخاري (207/4) في مناقب علي رضي الله عنه.

[4]) البخاري (4/1-5) ومسلم (139/1-142).

وظن أبو طلحة أنها صادقة، قال فبات فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات، فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبره بما كان منهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما).([1])

- **المسألة السادسة: مراعاة أحواله في الفرح والحزن..**

فتفرح لفرحه، وتحزن لحزنه، فإن ذلك من حقه عليها، لأن مثل المؤمن للمؤمن كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، ولأن الزوج أولى بمراعاة أحوال زوجه...وفي شعور الزوج بأن زوجته تتعاون معه، يسرها ما يسره من خير، ويحزنها ما يحزنه من شر، يقوي رابطتهما و يزيد بينهما المحبة والسكينة.ولا ينبغي أن تظهر أمامه بمظهر السرور والفرح إذا كان حزيناً، كما ينبغي أن تكظم حزنها إذا رأته مسروراً، فإن ذلك أدعى إلى الألفة ودوامها بين الزوجين ولها مثل ذلك.

ثانيا: مسئوليتها تجاه أبنائها:

تتحمل المرأة مسؤولية كبرى في الحياة الأسرية، بل هي تشكل محور الأسرة، فعليها تقع مسؤولية إدارة المنزل وتربية الجيل تربية صحيحة .

ومع كل هذه الأهمية في دور المرأة فإننا نؤكد على خطأ زعامة المرأة للأسرة ، لأنها بمثابة القلب النابض الذي يمد الأسرة بالحياة والنشاط والأمل، في حين يمثل الرجل دور العقل المدبِّر في قيادة الأسرة، ولهذا فإنَّ كِلا الدورين يُكمِل أحدهما الآخر في تناغم وانسجام.

لقد حدد الإسلام للمرآة لها نطاق مسؤولياتها في الأسرة بما يتفق وبنائها الجسمي والعاطفي الذي لابد له من أن تظهر آثاره على أسرتها وبيتها. ولعل أول مسؤولياتها تبدأ بتحقيقها السكينة والاستقرار لزوجها كما ذكرنا من قبل في بيان مسئوليتها تجاه زوجها. بالإضافة لمسؤوليتها في حفظ مال زوجها وحسن التدبير له، ومحافظتها على عِرضه بحفظ نفسها، ثم مسؤوليتها في تربية أولادها وتنشئتهم وتنمية قدراتهم العقلية والانفعالية والجسمية في ظل بيت تغمره المودة والرحمة وهذا مانتناوله هنا بشيئ من التفصيل.

وهذا لا يعني أن لا تقوم المرأة بأعمال أخرى في المجتمع الذي تعيش فيه. بل لأهمية الأسرة ودورها في بناء المجتمع الصالح نجد الحديث النبوي الشريف قد ركز على ذكر

[1]) البخاري (1/437-438) ومسلم (4/1909).

مسؤوليات المرأة في بيتها. وفي حالة تقصيرها عن قيامها في مسؤولياتها فإنها تُسأل أو تحاسب على ذلك في الدنيا والآخرة مثلها مثل الرجل؛ فهما في نظر الشريعة الإسلامية سواء في تحمل المسؤولية والمحاسبة.

إن مهمة الأم المتعلقة بتربية أولادها الجسمية والعقلية والإيمانية والسلوكية، من أعظم ما يجب عليها القيام به، وهو أشد خطرا من غيره من وظائف المرأة.

وقد أجاد العلامة ابن القيم رحمه الله القول في كتابه (تحفة المودود بأحكام المولود) فيما يتعلق بتربية الأولاد..فقال رحمه الله: "الباب السادس عشر في فصول نافعة في تربية الأطفال تحمد عواقبها عند الكبر:ينبغي أن يكون رضاع المولود من غير أمه بعد وضعه بيومين أو ثلاثة، وهو الأجود، لما في لبنها ذلك الوقت من الغلظ والأخلاط، بخلاف لبن من استقلت على الرضاع وكل العرب تعتني بذلك حتى تسترضع أولادها عند نساء البوادي كما استرضع النبي صلى الله عليه وسلم عند بني سعد.

وينبغي أن يمنع من حملهم والطواف بهم، حتى يأتي عليهم ثلاثة أشهر فصاعداً، لقرب عهدهم ببطون الأمهات، وضعف أبدانهم وينبغي أن يقتصر بهم على اللبن وحده إلى نبات أسنانهم، لضعف معدتهم وقوتهم الهاضمة عن الطعام..فإذا أنبتت أسنانه قويت معدته وتغذى بالطعام فإن الله سبحانه، أخر إنباتها إلى وقت حاجته إلى الطعام، لحكمته ولطفه، ورحمة منه بالأم وحلمة ثديها فلا يعضه الولد بأسنانه.وينبغي تدريجهم في الغذاء فأول ما يطعمونهم الغذاء اللين فيطعمونهم الخبز المنقوع في الماء الحار واللبن الحليب، ثم بعد ذلك الطبيخ والأمراق الخالية من اللحم ثم بعد ذلك ما لطف جداً من اللحم بعد إحكام مضغه أو رضه رضاً ناعماً.

فإذا قرب من وقت التكلم، وأريد تسهيل الكلام عليه، فليدلك ألسنتهم بالعسل والملح الأندراني، لما فيهما من الجلاء للرطوبات الثقيلة المانعة من الكلام.

فإذا كان وقت نطقهم فليلقن لا إله إلا الله، محمداً رسول الله..

وليكن أول ما يقرع مسامعهم، معرفة الله سبحانه وتوحيده وأنه سبحانه فوق عرشه، ينظر إليهم ويسمع كلامهم وهو معهم أين ما كانوا..ولهذا كان أحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن..بحيث إذا وعى الطفل وعقل علم أنه عبد الله وأن الله هو سيده ومولاه.

وإذا حضر وقت نبات الأسنان، فينبغي أن يدلك لثاهم كل يوم بالزبد والسمن ويمرخ جدر العنق تمريخاً كثيراً..ويحذر عليهم كل الحذر، وقت نباتها إلى حين تكاملها، وقوتها من الأشياء الصلبة ويمنعون منها كل المنع لما في التمكن منها من تعريض الأسنان لفسادها وتعويجها وخللها. ولا ينبغي أن يشق على الأبوين بكاء الطفل وصراخه . ولا سيما لشربه اللبن إذا جاع – فإنه ينتفع بذلك البكاء، انتفاعاً عظيماً، فإنه يروض أعضاءه ويوسع أمعاءه، ويفسح صدره ويسخن دماغه ويحمي مزاجه ويثير حرارته الغريزية ويحرك الطبيعة لدفع ما فيها من الفضول ويدفع فضلات الدماغ من المخاط وغيره.

وينبغي أن لا يهمل أمر قماطه ورباطه ولو شق عليه، إلى أن يصلب بدنه وتقوى أعضاوه ويجلس على الأرض..فحينئذ يمرن ويدرب على الحركة والقيام قليلاً إلى أن يصير ملكة وقوة ويفعل ذلك بنفسه. وينبغي أن يوقى الطفل كل أمر يفزعه من الأصوات الشديدة الشنيعة، والمناظر الفظيعة والحركات المزعجة..فإن ذلك ربما أدى إلى فساد قوته العاقلة لضعفها فلا ينتفع بها بعد كبره، فإذا عرض له عارض من ذلك فينبغي المبادرة إلى تلافيه بضده وإيناسه بما ينسيه إياه وأن يلقم ثديه في الحال ويسارع إلى رضاعه ليزول عنه حفظ ذلك المزعج، ولا يرتسم في قوته الحافظة فيعسر زواله..

ويستعمل تمهيده بالحركة اللطيفة، إلى أن ينام فينسى ذلك، ولا يهمل هذا الأمر فإن في إهماله إسكان الفزع والروع في قلبه، فينشأ على ذلك ويعسر زواله ويتعذر.

وينبغي للمرضع إذا أرادت فطامه أن تفطمه على التدريج، ولا تفاجئه بالفطام وهلة واحدة، بل تعوده إياه، وتمرنه عليه لمضرة الانتقال عن الألفة والعادة مرة واحدة.

ومن سوء التدبير للأطفال أن يمكنوا من الامتلاء من الطعام وكثرة الأكل والشراب، ومن أنفع التدبير لهم أن يعطوا دون شبعهم، ليجود هضمهم وتعتدل أخلاطهم، وتقل الفضول في أبدانهم وتصح أجسادهم، وتقل أمراضهم لقلة الفضلات في (كذا) الغذائية..([1])ومما ينبغي أن يحذر أن يحمل الطفل على المشي قبل وقته، لما يعرض في أرجلهم بسبب ذلك من الانتقال والاعوجاج، بسبب ضعفها وقبولها..واحذر كل الحذر أن تحبس عنه ما يحتاج إليه

[1]) هكذا في الأصل والظاهر أن في العبارة سقطا.

من قيء أو نوم أو طعام أو شراب أو عطاس أو بول أو إخراج دم، فإن لحبس ذلك عواقب رديئة في حق الطفل والكبير.

ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ عما عوده المربي في صغره، من حرد وغضب، ولجاج وعجلة، وخفة مع هواه – وطيش وحدة وجشع، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك وتصير هذه الأخلاق، صفات وهيئات راسخة له.. فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولا بد يوماً ما.. ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها، وكذلك يجب أن يجتنب الصبي إذا عقل مجالس اللهو والباطل والغناء، وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء..

فإنه إذا علق بسمعه عسر عليه مفارقته في الكبر، وعزَّ على وليه استنقاذه منه فتغيير العوائد من أصعب الأمور، يحتاج صاحبه إلى استجداد طبيعة ثانية والخروج عن حكم الطبيعة عسر جداً..

وينبغي لوليه أن يجنبه الأخذ من غيره غاية التجنب.. فإنه متى اعتاد الأخذ صار له طبيعة، ونشأ بأن يأخذ لا بأن يعطي ويعوده البذل والإعطاء.

وإذا أراد الولي أن يعطي شيئاً أعطاه على يده ليذوق حلاوة الإعطاء، ويجنبه الكذب والخيانة أعظم مما يجنبه السم الناقع، فإنه متى سهل له سبيل الكذب والخيانة أفسد عليه سعادة الدنيا والآخرة وحرمه كل خير..ويجنبه الكسل والبطالة، والدعة والراحة بل يأخذه بأضدادها ولا يريحه إلا بما يجم نفسه وبدنه للشغل فإن الكسل والبطالة عواقب سوء ومغبة ندم، وللجهد والتعب عواقب حميدة، إما في الدنيا وإما في العقبى وإما فيهما، فأروح الناس أتعب الناس، وأتعب الناس أروح الناس، فالسيادة في الدنيا والسعادة في العقبى لا يوصل إليهما إلا على جسر من التعب.. انتهى ما أردت نقله مع اختصار لبعض الجمل. ([1])

وفي هذه الفصول التي اختصرتها من كتاب (تحفة المودود في أحكام المولود) للعلامة ابن القيم رحمه الله فوائد عظيمة تبين مسئولية المرٔ تجاه أولادها.

[1])تحفة المودود بأحكام المولود من ص: 137-182).

من أهم مسئوليات المرآة تجاه أولادها وللأسف يقصر الكثير من النساء فيها الاعتناء بنظافة الطفل في جسمه وثيابه (فإن الله جميل يحب الجمال).([1])

وأن تزيد الاعتناء بالبنت زيادة على ما مضى، بتدريبها على الخبرة بشؤون المنزل والقيام بالحقوق الزوجية.. وتربية الأولاد، وإجادة الطبخ.. . فإنها عما قريب تصبح مسئولة عن أسرة بأكملها.

ثالثا:مسئوليات أخرى للمرأة:-

1- مسؤولية المرأة المسلمة تجاه خالقها: □□

المرأة مسئولة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أعظم مسؤولياتها مسئوليتها تجاه خالقها لأنها خلقت لعبادة الله تبارك وتعالى، وشرع لها في هذا الدين، كما شرع للرجال إلا فيما يختص بها لكونها أنثى. فهي مكلفة مأمورة تدخل في كل أمر أمر الله تبارك وتعالى به، من تقوى الله، ومن الاستقامة على الدين، والتمسك بالكتاب والسنة، وإتباع هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل ما شرعه الله عز وجل في القرآن والسنة.

همها مرضاة الله تعالى: فهي تتطلع دوما في أعمالها إلى مرضاة الله عز وجل، وتزنها بهذا الميزان الدقيق، فما رضي الله عنه فعلته ، وما لم يرض الله عنه أعرضت عنه وكرهته، وإذا وقع التعارض بين ما يُرضي الله عز وجل وما يُرضي الناس فإنها تختار مرضاة الله بلا تردد ولو أسخط الناس، مستهدية في ذلك بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم القائل:□ من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس".([2])

2- مسؤولية المرأة المسلمة تجاه نفسها:

اهتم الإسلام بالنظافة عامه وجعلها من أهم أسس الحياة وذلك حفظا على مظهر المسلم وتجنبا للإصابة بالإمراض، ومن باب أولى وبما أن المرأة صاحبة المسئولية الأولى عن الأسرة في هذا الجانب فجعل الإسلام مسئولياتها مضاعفة،وحثها على أن تكون متميزة في شكلها ومظهرها وهيئتها، ومن هنا لا تهمل المرأة نفسها، ولا تغفل عن مظهرها الحسن

[1]) صحيح مسلم (93/1).

[2]) صحيح الجامع برقم (6097)

النظيف في غمرة شواغل البيت، بل تحرص على أن تكون حسنة المظهر من غير سرف ولا مبالغة. وعنايتها بمظهرها الحسن ينبئ عن فهمها لشخصيتها ويدل على ذوقها ودقة نظرتها لمهمتها في الحياة وسلامة تصورها لشخصية المرأة المسلمة السوية التي لا ينفصل مظهرها عن مخبرها. وتدرك أنها مكونة من جسم وعقل وروح فتعطي لكل حقه مستهدية في هذا التوازن بهدي الإسلام الحنيف.

3- مسئوليتها تجاه جسمها:

أ- معتدلة في طعامها وشرابها:

تحرص المرأة على أن تكون صحيحة البدن قوية البنية نشيطة، غير مترهلة ولا ثقيلة الوزن، ولذا لا تقبل على الطعام بشره ونهم وإسراف، بل تصيب منه ما تقيم به صلبها ويحفظ عليها صحتها وقوتها ولياقة جسمها، مستهدية بقول الله تعالى:{وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}([1])

وقول رسول الله صلى عليه وسلم: ما ملأ آدمي وعاء شر من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشربه وثلث لنفسه".([2])

ولا ريب أن المرأة المسلمة بعيدة عن العادات الدخيلة على مجتمع الإسلام والمسلمين كالسهر الطويل في اللهو والعبث، فهي تنام مبكرة وتستيقظ مبكرة لتزاول نشاطها اليومي في حيوية، فلا يطفئ نشاطها سهر طويل، ولا تضعف قواها أعمال البيت لأنها أخذت نفسها بنظام يمدها دوماً بالقوة والنشاط.

أ- نظيفة الجسم والثياب:

والمرأة المسلمة نظيفة في جسمها وثيابها، مستجيبة في ذلك لهدي النبي صلى الله عليه وسلم الذي حث على الاستحمام والتطيب وخاصة يوم الجمعة:" اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا رؤوسكم وإن لم تكونوا جنبا".([3])

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" حق على كل مسلم، أن يغتسل في كل سبعة أيام يوما، يغسل فيه رأسه وجسده".([1])

---

[1]) الأنعام:141.

[2]) سنن ابن ماجة برقم(3349)

[3])

وتتعهد المرأة المسلمة فمها فلا يشم منه أحد رائحة تؤذيه، وذلك بتنظيف أسنانها بحيث تغدوا أنفاسها زكية معطرة، وقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها شديدة العناية بأسنانها كما جاء في الروايات الصحيحة عن مجاهد عن عروة رضي الله عنه:وسمعنا استنان عائشة أم المؤمنين في الحجرة

أ- لا تنزلق إلى التبرج والإفراط في الزينة :

فهذه العناية بالمظهر لا تنزلق بالمرأة المسلمة إلى التبرج وإبداء زينتها إلى غير زوجها ومحارمها، ولا تميل بها إلى المبالغة والإفراط بحيث تخرجها عن حد التوازن الذي أقام الإسلام عليه تشريعاته جميعاً، ولا يغيب عن بالها أن الإسلام الذي حض على الزينة الحلال ورغب فيها هو الذي حذر من الإفراط والمبالغة فيها.

4- مسئوليتها تجاه عقلها:

لا يغيب عن المرأة المسلمة أن تتعهد عقلها بالعناية كما تعهدت جسمها، ذلك أن العناية بالعقل لا تقل أهمية عن العناية بالجسم، والمرء بأصغريه قلبه ولسانه كما يقال أي بعقله وتفكيره ومنطقه، ومن هنا تبرز أهمية تثقيف العقل وتزويده بالمعارف النافعة وتنميته بالاطلاع على العلوم المتنوعة كعلوم الحديث والسيرة وأخبار الصحابيات والتابعيات من أعلام النساء، وتطلع على ما يلزمها من أبحاث الفقه لإقامة عباداتها ومعاملاتها ومعرفة أحكام دينها على أساس قويم .

قال تعالى{وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا}. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة.([2])

ولقد أدركت المرأة المسلمة قيمة العلم منذ الأيام الأولى للإسلام فقالت نساء الأنصار للرسول صلى الله عليه وسلم .: اجعل لنا يوماً من نفسك نتعلم فيه فقد غلبنا عنك الرجال، فقال لهن: "موعدكن دار فلانة"، فأتاهن فيها فوعظهن وذكرهن وعلمهن".([3])

5-مسئوليتها نحو صديقاتها:

---

[1]) صحيح الجامع برقم(3154)

[2]) صحيح الجامع للترمذي برقم(6298)

[3]) البخاري برقم(1364)كتاب الزكاة، باب: التحريض على الصدقة والشفاعة فيها.

obeikandi.com

للرفيقة الصالحة أثر كبير في استقامة أمر الفتاة المسلمة وتحليها بالعادات الحسنة والشمائل الرفيعة فالرفيقة القرينة في الغالب صورة مماثلة لها في أخلاقها وسجاياها قال النبي صلى الله عليه وسلم:"□إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير. فحامل المسك، إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة. ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة".([1])

الفرع الخامس

مسئولية الوالدين في الفكر والقوانين الوضعية

سنتناول في هذا الفرع مسئولية كل من الزوجين في أغنى وأرقى وأكثر شعوب العالم رفاهية وأعلى مستو دخل في العالم وهي دولة السويد:

طبقا للقانون السويدي فان الزواج يوجب تقسيم الأموال بين الزوجين بالتساوي،([2]) ويوجب عقد الزواج المسؤولية المشتركة على الزوجين لتربية الأولاد بصورة جيدة وتوفير الأمان لهم والإحساس بالرعاية التامة طبقا للقانون ومنها خاصة توفير الملابس والطعام والتعليم الدراسي إلى أقصى مدى يريده الطفل وعليهما دفع الإيجار بصورة تضامنية (وهذا التضامن السلبي مصدره نص القانون) وعليهما مسؤولية مشتركة في تقاسم تكاليف المعيشة من الطعام والملابس وغيرها، وهما يتحملان معا وبالتساوي مسؤولية إدارة شؤون البيت والأعمال المنزلية الأخرى ([3]) كما ينص القانون على أن الزوج الذي يكسب مبلغا أكثر من الطرف الثاني أن يتحمل ويعطي الطرف الأخر مما يكسب إذ يجب أن يعيشا معا بصورة متساوية ولا يجوز أن يعيش أحدهما عيشة مترفة بينما يعيش الأخر في حالة من الفقر.

وتستمر المسؤولية المشتركة حتى في حالة الطلاق ما لم يوجد في عقد الزواج شروط أخرى تعدل من القواعد التي يذكرها القانون كما لو كان الزوج لا يرغب في توزيع الثروة بالتساوي بينهما بعد حل رابطة الزواج أو أن أحدهما لا يرغب أن يرثه الأخر و إنما يرغب مثلا في أن تكون التركة للأولاد فقط أو إلى واحد من الأولاد .

---

[1]) صحيح سنن أبي داود برقم(4829)

[2])Ylva Killand صلى الله عليه وسلم16 r - op. Cit. p

[3])Ylva Killand صلى الله عليه وسلم17 r - op.cit. P

obeikandl.com

على أن مسؤولية الوالدين تنتهي ببلوغ الأولاد سن الرشد وهي 18 سنة حيث إن الشخص ببلوغه السن المذكورة يحق له الاستقلال في العيش والانفصال عن الوالدين وفي أن يتحمل مسؤولية تصرفاته و أفعاله المادية وتكون جميع التصرفات الإرادية التي يقوم بها صحيحة حتى ولو كانت ضاره ضررا محضا في حقه، إلا انه لا يستطيع شراء الكحول قبل أن يبلغ سن 20 سنة، علما أن سن المسؤولية الجزائية في القانون السويدي هي على من أكمل 15 عاما، فإن لم يكمل هذه السن وارتكب فعلا ضارا، تحمل الوالدين أو أحدهما المسؤولية القانونية عن أفعال الابن. وأيا كان الطرف الذي يتحمل المسؤولية القانونية، فان العقوبة تتحدد حسب قرار المحكمة وهي إما عقوبة اقتصادية(الغرامة المالية) أو العقوبة المقيدة للحرية.

ومن الالتزامات التي نص عليها القانون السويدي على الوالدين أن يعلما الأولاد حدود الحقوق ومفهوم تحمل المسؤولية عن التصرفات والأفعال المادية، سواء أكان الأولاد يعيشون مع الوالدين الذين يربطهما عقد زواج صحيح أم مع شخصين متعايشين.

ولا يجوز مطلقا ضرب الأولاد، لان الضرب هو جريمة تدخل ضمن قواعد قانون العقوبات ويطلق عليها تسمية(جريمة سوء المعاملة misshandصلى الله عليه وسلمl) ويستطيع الطفل إبلاغ البوليس عن هذه الجريمة المرتكبة ضد حقه في التكامل البدني وحقه في عدم المساس بجسده.

ولا يجوز للوالدين فتح الرسائل أو البريد المرسل إلى الأولاد كما لا يحق لهما مطلقا احتجاز الأبناء في الغرفة مثلا وغلقها لان في ذلك تقييد للحرية ويشكل جريمة يعاقب عليها القانون وهي طريقة غير مشروعة في التربية وتعد من الأضرار المعنوية للابن أي تقوم المسؤولية القانونية على الفاعل عن الضرر.

وإذا ثبت الضرر الجسدي (الفيزيائي) أو ثبت حصول الضرر المعنوي أو سوء المعاملة ضد الطفل فان القانون السويدي ينص على رفع يد الوالدين عن تربية الأولاد إلى جانب العقاب المقرر في قانون العقوبات وهو الحبس أو العقوبة الاقتصادية أو كليهما معا.([1])

[1])Ylva Killand صلى الله عليه وسلمr-op.cit.p.34

وفي هذا السياق لابد من الإشارة إلى بعض الجرائم ضد الأسرة أي ما يسمى وقد حددها قانون العقوبات السويدي في القسم السابع منة ، حيث ورد مثلا (المادة 1 من القسم المذكور) عقوبة الغرامة أو الحبس لمد سنتين في حدها الأقصى إذا كان الشخص متزوجا أو غير متزوج (Sambo) وارتبط بعقد زواج أخر حيث يعد مرتكبا لجريمة التعدد في العلاقات الأسرية وهو جريمة ضد الأسرة.

المبحث الثاني – الالتزامات والحقوق للمتعايشين

طبقا للقانون السويدي فان الرجل والمرأة لا يمكن اعتبارهما متعايشين معا إذا لم يكونا في ذات السكن و بصورة مشتركة لمدة لا تقل عن 6 اشهر وان تكون العلاقة متواصلة ومستمرة وغير عابرة وذلك لكي تترتب عن ذلك الالتزامات والحقوق عن الوضع المذكور ، وهنا سيكون الوضع الاقتصادي لهما مشتركا ويسمح لهما القانون المعاشرة كما لو كانا متزوجين ويقر لهما شرعية التناسل بالرضا و الاختيار ، أي دون إكراه، لان الإكراه يعد من الجرائم التي يحاسب عليها القانون.

تعليق:

أمور عجيبة الإسلام كرم المرآة وكفل بها زوجها، وفي أغنى دول العالم تتقاسم المرآة المصروفات مع الرجل ويقولون الإسلام ظلم المرآة وهو الذي جعلها سيدة تنفق برضاها وتمنع وليست عليها أدنى مسئولية في الإنفاق.مع العلم أن لها ذمة مالية خاصة بها.

كذلك يتم التخلي عن الأولاد بمجرد الوصول إلى18سنةويصبح الابن مسئول عن نفسه وهو في حاجه ماسة إلى من يقف إلى جواره.إلى مسئول يوجهه.

والأدهى والأغرب هو عدم تأديب الأولاد أمر غريب أن من يضرب ولده يسجن وترفع عليه القضايا،تفكك أسري مقيت وعدم تربية لذلك لا نلوم عليهم في العقوق لأنه نتج عن سوء تربية.

الفرع السادس

مسئولية الخادم(والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته):-

كما جعل الإسلام مسئوليات على الراعي والرعية والزوج والزوجة كذلك جعل مسئوليات على الخادم القيام بها ومنها:

أولا: أمانة الخادم:

الخادم هنا لا يعني العبد المملوك لسيده وحسب خاصة بعد أن استطاع الإسلام بتعاليمه الرحيمة على مر العصور والأعوام أن يلغي الرق تدريجيا بسنه المكفرات التي بها عتق الرقاب وبيان ثواب وفضل السيد الذي يعتق عبده لله، وهنا يجب مواكبة للعصر أن نفهم ألفاظ الحديث بما يناسبها من أن الخادم هنا يعنى به كل عامل سواء أكان العامل موظفا حكوميا أو أجيرا عن صاحب عمل وذلك لتعم الفائدة وهذا من عظيم أحكام الإسلام وذلك بصلاحيتها لكل زمان ومكان.

وعلى صاحب العمل أن يعتني بعامله، فيعلمه ما يهمه من أمور دينه، حتى يعرف ما يجب عليه لربه ولسيده وغير ذلك ليقوم بما كلفه، بصدق وإخلاص وأمانة..

سواء كان الخادم عبداً أم أجيراً، فقد حمله الرسول صلى الله عليه وسلم مسئوليته التي يجب أن ينهض بها، دون تقصير ولا خيانة..

وعلى صاحب العمل إذا استأجر أجيراً، أن يختار من يترجح عنده أنه أمين لا يخون في عمله، قوي لا يقصر فيه، خبير به لا يدخله الخلل بسبب جهله.

وقد نوه القرآن الكريم بذلك في المسئوليات الكبيرة والصغيرة، فيوسف عليه السلام حينما رأى أموال مصر تبعثر في غير فائدة بسبب عدم أهلية المسئولين، للقيام عليها طلب من عزيز مصر أن يوليه شؤونها..وعلل ذلك بقوله.. {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}([1])

والحفظ شامل للأمانة والقدرة على التنفيذ..وابنة صاحب مدين الذي لجأ إليه موسى عليه السلام فاراً بنفسه من فرعون، طلبت من أبيها أن يستأجر موسى لرعاية أغنامهم..

وعللت ذلك بقولها: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ}([2])

فالمسئولية الأولى – مسئولية يوسف عليه السلام – مسئولية كبيرة، لأنها ولاية على حفظ أموال الدولة كلها، وهي التي يطلق عليها الآن وزارة المالية والاقتصاد.

---

[1]) سورة يوسف:55.

[2]) سورة القصص:26.

والمسئولية الثانية – رعاية موسى عليه السلام للغنم – من المسئوليات الصغار، لأنها قيام على حفظ مال فرد واحد، وليست منصباً كبيراً في الدولة..ومع ذلك فقد اشترط في المسئول عن الثانية ما اشترط في المسئول عن الأولى.

وإذا كان العامل أميناً اطمأن صاحب العلم على أمواله وغيرها في البيت وخارجه، بخلاف ما إذا كان خائناً، فإنه يخشاه دائماً على أمواله وأهله وعلى العمل الذي يسند إليه بأن لا يتقنه. هذا ما يجب من جانب السيد وهو الاختيار الحسن.. وهو ما تقوم به معظم دول الخليج عندما تعلن عن مسابقة لاختيار عمالة فإنها تجرى للمتقدين اختبارات وتختار الأفضل ولكن للأسف فإن الأفضلية غالبا تكون للكفأة الوظيفية فقط، وكم أتمنى أن تكون للاثنين معا الدينية والوظيفية.

إشارة لابد منها:

الحذر من تمكين الخادم من الدخول على أهله والاختلاء بهم، فإن في ذلك من الفساد ما لا تحمد عقباه..وهو ما يفعله كثير من الناس اليوم حيث يستأجر أجيراً، في عنفوان شبابه أو مراهقاً، ويمكنه من الدخول على زوجته أو غيرها من نساء بيته في حضوره وغيبته، دون أن تحتجب.وقد حذر الشاعر من مثل هذه الأمور فقال:

لا تأمننَّ على النساء ولو أخا.....ما في الرجال على النساء أمين

ولنتذكر قصة يوسف عليه السلام التي دبرتها له امرأة العزيز، وما حصل له من البلاء الذي لم يخلصه منه إلا ربه حيث ناداه قائلاً..{قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ}([1])

فعلى المسلم الحذر من التساهل في هذا الأمر.

فالله تعالى يقول: {..وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإثم وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ}([2])

ويقول صلى الله عليه وسلم: (احرص على ما ينفعك..).([3])

---

[1]) سورة يوسف:33.

[2]) سورة المائدة: من الآية:2.

[3]) مسلم (2052/4) من حديث أبي هريرة.

وقد كان بعض المخنثين يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وكان المخنث يعد من غير أولي الإربة، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وأحدهم عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة..فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاحتجاب منه، ونهى عن دخوله على النساء.([1])

ثانيا: أنواع المال الذي يسأل عنه الخادم:

والمال الذي يرعاه فيه الخادم أو العامل، قد يكون المقصود مجرد حفظه كالنقود والسلع المتنوعة، من حبوب أو قماش وغيرها مما يؤمر العامل بحفظه خاصة إذا كان هذا العامل يعمل في مجال الحسابات.

وقد يكون المقصود التجارة في المال من بيع وشراء، وقد يراد من الخادم أن يرعى بعض الدواب، كالإبل والبقر والغنم والخيل، والبغال والحمير وغيرها، فيجب عليه أن يقوم برعايتها والحفاظ عليها، ويحرم عليه أن يدعها تجوع أو تظمأ مع قدرته على عدم ذلك.. ولا يجوز له أن يضرب الدابة أو يوجعها ضرباً أو رجماً مضراً..فأين كان نوع المال المكلف به فهو مسئول عنه.

فإن قام الخادم بذلك دون تقصير فهو خادم أمين يستحق جزائين، جزاء الأجر من سيده، والثواب من ربه، وكان من المحسنين الذين يتقنون عملهم طمعاً في ثواب الله، وخوفاً من عقابه..كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم:"الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه.. فإن لم تكن تراه فإنه يراك".([2])

ومما يدخل تحت هذا البند أيضا موظف الحكومة على اختلاف درجاته الوظيفية وهو من أشد الناس أمانة ومحاسبة أمام الله عز وجل وذلك لأنه مسئول عن أموال الناس جميعا وهذا ما يجعل مسؤوليته أشد وأكبر. لذلك لما دخل على بن أبي طالب رضي الله عنه على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يكتب رواتب عماله سأله عمر:" لما جئت هل في حاجة لك أم للمسلمين؟ فتعجب على رضي الله عنه من سؤال عمر رضي الله عنه وقال:" وما الفرق يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: إن كنت جئت لمصلحة لك أطفأت المصباح

[1]) نيل الأوطار ،الشوكاني،مرجع سابق،(ج6/ص:123).

[2]) مسلم (37/1) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

لأنه مال المسلمين، وإن كنت جئت لمصلحة للمسلمين تركت المصباح موقدا فهو موقد من زيت المسلمين. فقال عليّ: لقد أتعبت من يجئ بعدك يا أمير المؤمنين.

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأرضاه إذا اشتغل في حسابات المسلمين أشعل المصباح وإذا اشتغل بحسابات له أطفأ المصباح.

ثالثا: ما يترتب على أمانة الخادم أو خيانته:

والعامل إذا قام بمسئوليته بأمانة وإخلاص، وصدق وحزم، استفاد من ذلك فائدتين عظيمتين:

الأولى: إقبال الناس إلى معاملته، وائتمانهم له على أموالهم وكثير من أمورهم، فيسلم بذلك من البطالة ويستمر في العمل الذي يحصل له من ورائه سد خلته وعدم احتياجه إلى سؤال الناس.

الثانية: رضى الله عنه وإثابته إياه، على أمانته وإخلاصه وصدقه وبذلك يبقى محبوباً عند الخالق والمخلوق..وإذا لم يقم بواجبه فخان مستأجره وكذب عليه خسر خسارتين عظيمتين.

الأولى: نبذ الناس إياه، وعدم ائتمانهم له في معاملته، وبذلك يصبح عاطلاً عن العمل لا يستخدمه أحد، كاذبا لا يصدقه الناس ولو صدق، فيضطر إلى تكفف الناس وإراقة ماء وجهه مع قدرته على الابتعاد عن ذلك.

الثانية: غضب الله عليه ومجازاته على خيانته وكذبه وعدم إتقان عمله، فيكون بغيضاً عند الله وعند خلقه، والكذب والخيانة من صفات المنافقين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"آية المنافق ثلاث.. إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف.. وإذا أوتمن خان". ([1]).وفي رواية: (وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم).

وقد جعل الله للعبد الذي يقوم بحق الله وحق سيده أجرين، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"إن العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين".([2]) وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى

[1]) متفق عليه. البخاري (95/7) ومسلم (78/1)

[2]) البخاري (124/3) ومسلم (1284/3).

obeikandi.com

الله عليه وسلم: (للعبد المملوك المصلح أجران)، والذي نفس أبي هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك.([1])

الفرع السابع

مسئولية الإنسان عن الحيوان

إن مسئولية الإنسان لا تتوقف على الإنسان وحسب بل تتعداه إلى جميع الكائنات، وجميع المعاملات، بل وجميع الأمور التي تتعلق بملكية الشخص لنفسه ولغيره ومن هم تحت يده في أي أمر من الأمور لذلك كان لزاما من باب إتمام الفائدة أن نشير ولو باختصار إلى مسئولية الإنسان عن الحيوان ولو في عجالة حتى نحيط بجوانب المسئولية جميعا فمن المستحسن أن أختم هذه المسئوليات بمناسبة العموم الذي في آخر الحديث..(وكلكم راع ومسئول عن رعيته) بمسئولية الإنسان عن الحيوان، ليعلم الجاهلون بالإسلام الذين يتبجحون بالرفق بالحيوان، وهم يتصرفون تصرف الوحوش الضواري مع الإنسان، أن الإسلام اعتنى بالحيوان قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، وفي هذه التتمة مسألتان:

إحداهما في أجر من قام بحق الحيوان، وأشفق عليه فسقاه أو أطعمه..

عن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ذات يوم فأسر إلي حديثا لا أحدث به أحدا من الناس وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدفا أو حائش نخل قال فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأي النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكت فقال من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل فجاء فتى من الأنصار فقال لي يا رسول الله فقال أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكى إلي أنك تجيعه وتدئبه.([2])

وعن أبي جعفر عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال : أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه وأسر إلي حديثا لا أحدث به أحدا من الناس وكان أحب ما

---

[1]) البخاري (123/3) ومسلم (1284/3).

[2]) سنن أبي داود برقم(2549)

obeikandi.com

استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدف أو حائش نخل . يعني حائط نخل ([1]).

وزاد فيه البرقاني بإسناد مسلم – بعد قوله : حائش نخل – فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرجر وذرفت عيناه فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح سراته – أي سنامه – وذفراه فسكن فقال: " من كان رب هذا الجمل لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هذا لي يا رسول الله. قال: " ألا تتقى الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها ؟ فإنه يشكو إلي أنك تجيعه وتدئبه".([2])

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش.. فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني..فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له).. قالوا يا رسول الله: وإن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: (في كل كبد رطبة أجر).([3])

والأخر ى في العقاب الشديد لمن قصر في حق الحيوان أو عذبه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من حشاش الأرض".([4])

كل هذا قبل ما يسمى بجمعيات الرفق بالحيوان وغيرها.

وملخص مسئولية الفرد عن المجتمع يتمثل في التالي:

1) الالتزام بقانون الجماعة، وهذا يستلزم من الأفراد الالتزام بعقيدة المجتمع الأساسية، التي تعتبر أمانة أمام الله عز وجل.

2) التعاون مع الجماعة في سبيل الخير العام:{ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى...}([1]) من مساهمة في كل ما هو مفيد للأمة والجماعة وغير ذلك.

---

[1]) رواه مسلم هكذا متصلا.برقم(342) باب ما يستتر به لقضاء الحاجة.

[2]) أبو داود كرواية البرقاني.وأخرجه ابن حبان أيضا وغيره.

[3]) البخاري (77/3) ومسلم (1761/4).

[4]) البخاري (77/3) ومسلم (2022/4).

3) تقديم العمل الصالح والتنافس في هذا السبيل:{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً...}([2])

4) نشر العلم الذي يسهم إسهاما إيجابيا في بناء المجتمع وتطويره واستغلال الذكاء في هذا السبيل، ومن ذلك، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نلاحظ مما سبق أن مجالات المسئولية الاجتماعية تعددت وتناولت جوانب مختلفة لدى أفراد المجتمع ،حيث لم تعد قاصرة على مسئولية الفرد نحو نفسه وأسرته فحسب؛ بل نجد أنها تنوعت وتعددت كما أوضح بعض الباحثين، فنجد أن الحارثي قد قسَّم المسئولية المستمدة من تعاليم الدين الإسلامي إلى أقسام وجوانب متعددة وهي كالآتي :

- مسئولية الفرد نحو نفسه، وهي تشمل تحمله لأعباء وضروريات الحياة،كالأكل والنوم وغيرها من الدوافع الفطرية، كذلك صيانة الفرد لذاته وسمعته وتحمله المسئولية نحوها .
- مسئولية الفرد نحو الأسرة وهي تشمل: الأب، الأم، الأخوة، الزوجة والأطفال، بقية الأقارب0
- مسئولية الفرد نحو الجيران .
- مسئولية الفرد نحو القرية والحي والمدينة .
- مسئولية الفرد نحو الزملاء والأصدقاء .
- مسئولية الفرد نحو الوطن .
- مسئولية الفرد نحو العالم والكون وهي تشمل عمارة الأرض، والاهتمام والرفق بالحيوان والكائنات الحية.

---

[1]) سورة المائدة:2.

[2]) سورة هود:7.

obeikandl.com

المبحث الثاني
المسئولية الجماعية
وفيه تمهيد ثمانية مطالب

تمهيد:

بما أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمفرده وأن الناس بعضهم لبعض وإن لم يشعروا خدم، وقد خلق الله الناس وربط بعضهم ببعض فهذا صانع، وهذا معلم، وذاك طبيب، و... فلا يستغنى أحد مهما كان عن الجماعة وبتالي على كل جماعة عمل معين أن تقوم به على أكمل وجه متحملة المسئولية الملقاة على عاتقها،كذلك لابد للجماعات من التكامل والتكافل حتى يسير المجتمع نحو التقدم والفلاح بحيث يكون ذلك تحت مظلة شرع الله تعالى وعلى سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهنا يجب أن نأخذ في الاعتبار أن كل مسئولية جماعية هي في الأساس مسئولية فردية فلا تنفصل عن الفرد مهما كان فكل جماعة ما هي إلا مجموعة من الأفراد.

المطلب الأول
تهيئة للجماعية

من أجل تغذية روح الجماعة في المسلمين أقام الإسلام مناسبات دينية كثيرة قائمة على الجماعة، وحث المسلمين على المشاركة فيها، وشدد على من يتخلف عنها، ومن أهمها صلاة الجماعة.

فصلاة الجماعة في الإسلام من العبادات التي تؤدي وظائف مهمة وعظيمة في تعزيز الروابط الاجتماعية.

فقد ألزم الإسلام المسلمين بحضور العبادات الجماعية، في صلاة الجماعة اليومية، وصلاة الجمعة الأسبوعية، وصلاة العيدين، وعبادة الحج. وقد شرعت هذه العبادات الجماعية على هذه الشاكلة لتعميق روح الجماعة في قلب كل مسلم، ولتكون مناسبات متكررة تشتد بها الروابط الاجتماعية بين المسلمين.([1])

[1]) الأخلاق الإسلامية وأسسها ج188/2عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني.

obeikandi.com

ويؤكد نجاتي:على دور أداء المسلمين لصلاة الجماعة كفرض في بث روح الجماعة في نفوسهم، حيث يجتمع المسلمون في المساجد للصلاة والتعارف، وينمي ذلك في نفوسهم حب الغير، والعمل على خير الناس، ويقوي لديهم الإيثار. ولا شك أن القدرة على حب الناس وتقديم العون لهم، والقيام بأعمال مفيدة للمجتمع، يقوي لدى الأفراد الانتماء للجماعة والشعور بالمسئولية الاجتماعية نحوها.([1])

وحيث إن الإسلام أقام الأمة الواحدة وأمر المسلمين بالجماعة، فقد وضعهم أمام مسئولياتهم الجماعية التي حث على الإتيان بها، وهي من صميم تعاليم الدين الإسلامي، ومن أبرزها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإخراج الزكاة المفروضة، وصلة الرحم والنفقة الواجبة، وعيادة المرضى، وتشييع الجنائز، ودفن الموتى، وإكرام الجار والضيف، والبعد عن الغيبة والنميمة، والبعد عن كل ظلم وعدوان على الأنفس والأموال والأعراض، والتواد والتراحم والتعاطف مع الآخرين، والتعاون على البر والتقوى.كما أن هناك الكثير من الآداب التي أمر بها الإسلام، وتسهم في تحقيقي الترابط الاجتماعي والتعاون مثل: إفشاء السلام، وبر الوالدين، والأخوة، والتزاور، والإصلاح بين الناس، والتواضع، والنصح للمسلمين. وحرم الإسلام أشياء لما لها من أثر سيئ في تفكك المجتمع وتنافره وانحلاله، مثل: قطع الرحم، وعقوق الوالدين، والاعتداء على الآخرين، والغش، والكذب، والخيانة، وشهادة الزور، والظلم، إلى آخر هذه الأمور المنهي عنها في كتاب الله وسنة رسوله.وقد اهتم الإسلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمر أتباعه بتطبيقه في حياتهم، ويعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نوع من المسئولية الاجتماعية فقال:" من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان".([2])

والفرد والجماعة كل منهم مسئول عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الأخذ على يد الظالم، وفي قول الحق، وعدم الخوف إلا من الله تعالى، وقدم الله سبحانه وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان في الآية الكريمة {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ...}([3]) ، وذلك لما لهما من أثر

[1]) القرآن وعلم النفس ص222محمد عثمان نجاتي.

[2]) صحيح سنن أبي داود برق(1140)

[3]) آل عمران:110.

عظيم في إصلاح المجتمع، وقد جعل الله الأمة الإسلامية أفضل الأمم، وعظم من شأنها بسبب أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

الحديث النبوي الشريف يتسم بالبلاغة، ويتصف باللسانة، ويمتلئ بالفصاحة في كل حركاته وسكناته، وتراكيبه، وجمله وأساليبه، ولا غرو في ذلك؛ فهو حتف الكلمة الشرود، وقيد الفصاحة، ونبع البيان، ونتجاوز القول إلى الفعل والتطبيق، ففي حديث النعمان بن بشير – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قومٍ استهموا على سفينةٍ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء، مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا! فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا)).([1])

المسؤولية هي القيمة التي يحدثنا عنها السياق القرآني في سورة الإسراء بصورة مركزة، ولعل هذه السورة تدور حول هذا المحور:{إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً{7}، وقوله تعالى:{وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً{13}، وقوله تعالى: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً{36}([2]) والإنسان مسئول عن نفسه ومسئول عن مجتمعه، مما يصنف المسؤولية نوعين: الجماعية، والفردية. وفي سورة الإسراء يذكرنا الله سبحانه عنهما جميعا. وقد سبق الحديث عن المسئولية الفردية بالتفصيل.

ولأهمية المسئولية الجماعية سوف أتحدث عنها بالتفصيل.

1) فالآية (7) هي التي تحدثنا عن المسؤولية الجماعية، حيث يتحمل كل فرد مسؤوليته عن المجتمع وعن حضارته وتقدمه، كما يتحمل المجتمع ككل المسؤولية عن نفسه. فيقول ربنا سبحانه وتعالى ضمن آيات أخرى : {وَقَضَيْنَآ إِلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً* فإذا جَآءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَآ أُوْلِي بَأْسٍ

[1]) صحيح الجامع برقم(2173)

[2]) سورة الإسراء.

شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً}([1])

ثم يؤكد المسؤولية الجماعية بقوله سبحانه:{إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لاَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا}([2])

من هذا السياق نستوحي؛ أن بصيرة القرآن عن التاريخ، تبدأ من الإنسان نفسه، ومدى مسؤوليته عن أفعاله. فإذا تقدمت أمة أو تخلفت، فهي بسبب ما أحسنت أو أساءت.

2) وهكذا تتوسع دائرة المسؤولية عند الإنسان، حتى تبلغ الكرة الأرضية. فالفساد الذي ينشأ من انحراف البشر، ينتشر في الطبيعة من حوله. فإذا بالتلوث يصيب البر، ومنه ينتقل إلى البحر. وإذا بالبيئة كلها تفسد بفعل الإنسان. وقال الله سبحانه: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ}([3])

وقد جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " اتقوا الله في عباده وبلاده، فإنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم".

إن المسئولية الجماعية تتضمن القيام بالمسئوليات في الوظائف العامة عدلاً في الرعية، وقسماً بالسوية، ومراقبة لله وحده في كل قضية، وكذا الحفاظ على الأموال والممتلكات والمرافق العامة، فليست المسئوليات غنماً دون غرم، ولا زعماً دون دعم، وسيتولى حارها من تولى قارها، في بعد عن الخلل الإداري، والتلاعب المالي، والتسيب الوظيفي، فلا تصان الحقوق إلا بتولية الأكفاء الأمناء، والأخذ على أيدي الخونة السفهاء، قياماً بالمسئولية والأمانة كما شرع الله، وتحقيقاً لما يتطلع إليه ولاة الأمر وفقهم الله، وهو ما يحقق مصالح البلاد والعباد.

المطلب الثاني

مسئولية المجتمع في الحفاظ على سفينة الأمة

تقع على المجتمع مسئولية كبرى في الحفاظ على سفينة الأمة، وفي تعميق الروابط فيما بين أفرادها من التواد والتراحم، والأخوة والتفاهم، انطلاقاً من الركيزة الإيمانية لا من المصالح

[1]) سورة الإسراء: 4-6.

[2]) سورة الإسراء:7.

[3]) سورة الروم:41.

operkanar.com

الدنيوية والعلاقات المادية، ولقد عُني الإسلام بالمجتمع وتشييد أركانه، بصورة متماسكة في بنيانه أمام الأفكار المسمومة، والآراء المذمومة، فليتواصى أبناء المجتمع على عبادة الله وحده، وعلى الاضطلاع بمهمة الدعوة الإسلامية والحسبة،وتحمل المسئولية في جميع مناحي الحياة وعلى الإمساك بعجلة القيادة في كل المجالات، وعلى إعلاء راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمام سيل المنكرات، وطوفان المحرمات، والأخذ على أيدي المستهترين، وإنَّ السكوت على الأيدي الآثمة هو في الحقيقة إثم أكبر من إثمها، وإجرام أبشع من إجرامها:{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله}([1])

وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة الإسلامية لتعرف حقيقتها وقيمتها وتضطلع بمسئولياتها، وتعرف أنها أخرجت لتكون في الطليعة؛ لتكون لها القيادة؛ لأنها خير أمة: {وَلِيَعْلَمَ الله مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ الله قَوِيٌّ عَزِيزٌ}([2])

المطلب الثالث

مسئولية التعليم

هذا بيت القصيد الأول ..إن للتعليم أهميته التي لا يجحدها أحد، فهو الذي يشكل عقول الأمة وينهض بها وقد أدركت الدول الكبرى هذه الأهمية فجعلت ميزانية التعليم والبحث العلمي أكبر الميزانيات، حتى أصبحت الدعاية الانتخابية الآن لمرشحي الرئاسة في هذه الدول النهوض بالتعليم، على الجانب الأخر أهملت الكثير من الدول الإسلامية هذا الجانب حتى تخرجت أجيال تحمل مؤهلات عليا ولا تجيد القراءة، والكتابة، والطامة الكبرى أن هذه الأجيال لا تعرف عن دينها أصوله ناهيك عن فروعة.

والغريب أن مادة الدين لا تدرس في معظم الكليات المصرية إن لم تكن كلها اللهم إلا كليات جامعة الأزهر وفي مراحل التعليم قبل الجامعي لا تضاف إلى المجموع. وإذا كان الأمر هكذا فما الذي ينقص المسلمين في التعليم؟:

---

[1]) سورة آل عمران:110.

[2]) سورة الحديد:25.

obeikandi.com

الأول: إسناد مسئوليات التعليم إلى من هو أهل لها في كثير من البلدان الإسلامية، حيث تسند إلى أشخاص ناقصي الخبرة وفاقدي الأمانة والقوة والتنفيذ.والجهل والخيانة والضعف أمراض فتاكة تقتل الشعوب وتمنع الخير.

الثاني: العناية بوضع المناهج التعليمية المفيدة في الدين والدنيا..

الثالث: تقنين يد غير المسلمين في وضع مناهج التعليم، لكل المستويات من المدارس الابتدائية إلى أعلى أقسام التخصص، بحجة أن للقوم خبرة وتجربة يجب أن يستفاد منها ولا شك أن الاستفادة من ذوي التجربة مطلوبة ولو كانوا غير مسلمين.

ولكن يشترط في ذلك العلم بأن ما نأخذه منهم فيه فائدة، وليس فيه مضرة على المسلمين في دينهم ودنياهم، وذلك يقتضي التمحيص والتدقيق في الأمور التي تعرض لأخذها وتطبيقها في بلاد الإسلام.

أما أن تطلق أيدي غير المسلمين فتخطط كما تشاء مما نعلم يقيناً أنه من مصالحها هي ومن مضارنا نحن.. فهذا لا يرضاه مسلم يؤمن بدينه وحقوق أمته.

ولهذا نجد هؤلاء المخططين قد اغتنموا الفرصة عندما أمناهم على أعظم سبيل لنجاحنا، وأقصوا علوم الدين من تلك المناهج في أكثر المدارس، والمدارس التي بقي للدين فيها أثر فصفحات معدودة لا تسمن ولا تغني من جوع.

ودسوا على تاريخ الأمة الإسلامية بالطعن على خلفائها وقادتها ومفكريها، وإلصاق التهم بهم.

حتى أصبح الناشئون من أبناء الإسلام يجلون ويكبرون قادة الأفكار الهدامة من أمثال (ماركس، ولينين، وهتلر، وغاندي، وماو) وغيرهم من ساسة الكفار أكبر وأعظم من إجلالهم لأمثال (أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وخالد.وجليبيب الذي قتل سبعة وزوجه رسول الله بنفسه، وخبيب بن عدي بليع الأرض([1]). بل إن الكثير من الشباب الجامعي في

[1])هو الذي سن ركعتين قبل القتل عندما أسره المشركون وقال له أبو سفيان رضي الله عنه قبل أن يسلم: أتحب أن محمدا مكانك تضرب عنقه وأنت آمن؟ فقال: والله ما أحب أني أمن وأن محمدا صلى الله عليه وسلم يصاب بشوكة.فقال أبو سفيان قولته المشهورة:ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد لمحمد صلي الله عليه وسلم وكان ذلك في شهر صفر من نفس السنة . أي الرابعة من الهجرة . الرحيق المختوم المباركافوري ص217.

مصر لا يعرف العشرة المبشرين بالجنة.. وغيرهم من حملة راية الإسلام.. رضي الله عنهم أجمعين..)

كما أخذوا في غمط علماء الإسلام ووصفهم بعدم المعرفة وفقدان الأفكار النافعة، ورفعوا منازل فلاسفة الغرب واعتمدوا على أفكارهم وآرائهم في التربية وعلم النفس وطرق التدريس بل حتى في فهم الدين الإسلامي وتاريخه.

وإننا لتجد المؤلف المسلم –كما يعرف – من اسمه – يؤلف كتاباً يحتوي على مئات الصفحات في التربية وعلم النفس وطرق التدريس.. ولا تجد فيه مثالاً واحداً من الأمثلة الإسلامية للتربية الربانية التي أساسها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، التي تأخذ في تربية الشخص من مولده بوساطة وليه إلى بلوغه.

ثم تأخذ في توجيهه مباشرة في كل مجالات حياته، عقيدة وعبادة، وسلوكاً ومعاملة وشريعة ونظاماً، في الحرب والسلم، داخلياً وخارجياً إلى أن يموت، والأمثلة من القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح، في التربية وعلم النفس كثيرة جداً... بل إن موضوع القرآن والسنة لهو النفس الإنسانية بجميع جوانبها، وكل ما يذكر فيها فإن محوره الأساسي النفس..وخالق النفس أعلم بها: {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}([1]). ولكن أولئك المؤلفين لا يلقون لهما بالاً.

إن المؤلفين – المسلمين –لا يذكرون شيئاً من ألأمثله التربوية الإسلامية بل يملأون كتبهم بأسماء علماء الغرب وذكر نظرياتهم والمقارنة بينها وترجيح بعضها على بعض،مفتخرين بها.

ناسين ما في تراثهم الإسلامي من ثروة عظيمة، كان من الواجب عليهم أن يدرسوها وينقلوها للناس ليخرجوهم بها من الظلمات إلى النور مع الاعتزاز بها، لأنها فخر آبائهم وأجدادهم قبلهم، وسبب بقاء مجدهم وعزهم في حاضرهم ومستقبلهم.

وما قد يوجد في الشئون التربوية من نافع يفتخرون به في كتب علماء الغرب، يوجد في الإسلام ما هو أكثر نفعا منه وأقرب تناولاً وأعظم فائدة. وإن كان علماء التربية البشرية بدءوا يتنبهون إلى هذه الكنوز فأخذوا يستدلون بها في جميع مواضيعهم لما لها من الأثر البالغ النفع.

---

[1]) الملك:14.

والسبب في كل ما مضى من فساد الأنظمة المنهجية وإقصاء الدين عن الناشئين من أبنائه والغفلة عن التربية الإسلامية، هو عدم الاختيار الموفق للمسئولين عن التعليم من أعلى موظف إلى أصغر موظف، ولو أحسن الاختيار، لكانت النتائج حسنة مرضية، ولكان الجيل قوياً قائما بأعباء مسئولية الوقت..ولكن القوم سلكوا للعزة – إن كانوا أرادوها – غير مسلكها، وأخذوا لبابها مفتاحاً غير مفتاحه.فكانوا كما قيل:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها.....إن السفينة لا تجري على اليبس

ومما يجب التنبيه عليه بهذه المناسبة أن تباين مناهج التعليم في معظم الشعوب الإسلامية، حيث تدرس في بعض هذه المؤسسات مواد دينية ولا تعطى العلوم الأخرى فيها حظاً، كالحساب والهندسة والجغرافيا ومبادئ الطب وأشباهها، من العلوم التي يسمونها بالعلوم العصرية، وطلاب هذه المؤسسة في حاجة إلى تلك العلوم.

وتُدَرَّس العلوم العصرية في مؤسسة أخرى، وليس للعلوم الدينية فيها نصيب، فيظهر طلابها طلاب مادة لا قيمة للغذاء الإيماني عندهم..

وتدرس في مؤسسة ثالثة العلوم العسكرية دون سواها، فيظهر طلابها بمظهر الوحوش الضارية على شعوبهم، ليس لهم هم سوى الفتك والبطش، وعندئذ يحصل التصادم بين هذه الفرق فتصير كل فرقة حزباً له مبادئه الخاصة، يناضل عنها ويحاول تحطيم مبادئ الآخرين و{مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}([1])

إذ ليس لهم غاية مشتركة ولا هدف موحد يجمع نشاطهم ويوحد سلوكهم.

اللهم إلا التعليم الأزهري فحسب.

ولا أريد من هذا أن أدعو إلى إلغاء تخصص كل طائفة في علم خاص بل أريد إيجاد قاسم مشترك يوحد أبناء المسلمين، ثم يتخصص كل فيما يشاء.

إن المتأمل في ديننا يعلم عِلْم اليقين أن ديننا ليس دين كسل وخمول، ولكنه دين حركة ونشاط، وحيوية وعمل، وتحمل للمسئولية.. فهو صلاة في المسجد وتعليم وتعلم في المدرسة، وجهاد ومجالدة في المعركة وبيع وشراء في السوق، وصناعة في المصنع، بل إن النوم الذي يأخذ الإنسان به راحته يعتبر عبادة عند خلص المؤمنين..كما قال بعض الصحابة: "والله إني

[1]) سورة الروم:32.

لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي".(إني أرجو أن يثيبني الله على نومي كما يثيبني على قيام الليل).([1])

وذلك يقتضي من المسلمين أن يلموا بكل العلوم النافعة في دينهم ودنياهم وأن يعلم بعضهم بعضاً، وهو دليل قاطع على أن الإسلام يدعو المسلمين إلى العلم النافع مطلقاً وإلى نشره بينهم ليبقى إلى يوم القيامة. وذلك يقتضي منا أن نتعلم من غيرنا ما نجهله، ولا يعارض الدين الإسلامي ذلك إذا لم يكن بين المسلمين من يغنينا عنهم، ولكن لا يجوز أن نجعل تعلمنا منهم سبباً لترك ديننا والتنكر له..

المطلب الرابع

مسئولية الإعلام

لقد أدركت الأمم المتقدمة سحر الإعلام وسلطته الضاغطة المؤثرة، فأنفقت الملايين لتحقيق سياساتها من خلاله، وإقناع الجماهير بشرعية خططها وبرامجها من خلال عملية غسيل الدماغ الجماعية، وصارت وسائل الإعلام تقوم بجزء من عمل الجيوش، وأصبحت الحروب الإعلامية تكلف أحياناً أكثر من الحروب التقليدية.

دنيا الإعلام تقلب الحقائق.....وتظهر العلقم حلوا رائق

من هذا المنطلق علينا أن ندرك المسئولية الخطيرة للإعلام وأهميته، ونعمل على مواكبة الأساليب المتطورة في هذا المجال ضمن حدود الشريعة الإسلامية؛ فنحن بحاجة إلى إعلام متوازن مسئول يعمل على التجديد في الأسلوب والطرح؛ ليكون أكثر قبولاً لدى مختلف الفئات في العالم الإسلامي الفسيح.

وبرغم وجود مؤسسات إعلامية تؤدي عملها بتميّز وإخلاص ومسئولة احتساب، إلا أن الساحة الإسلامية العالمية لا تزال بحاجة إلى مزيد من المنارات الوضاءة الصافية، التي تبث بين الناس كلمةً طيبة؛ أصلُها ثابت وفرعها في السماء، وتستمد نورها من الكتاب والسنة، داعية إلى تقوى الله وخشيته في السر والعلن، وملازمة العمل للعلم، مذكرة بقوله سبحانه: {وَابْتَغِ

[1])القائل معاذ بن جبل وقد رواه البخاري- الفتح 7 (4341، 4342) واللفظ له. ومسلم (1733).

فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}([1])

إن وسائل الإعلام في عصر التفجر الإعلامي، وثورة المعلومات والتقنيات، قد أصبحت مسئوليتها من أعظم المسئوليات، ولاسيما القنوات الفضائية، والشبكات المعلوماتية، فالله الله –أيها الإعلاميون في استثمارها لخدمة ديننا الحنيف ووطننا الحبيب.

إن الغيورين ليأسفون أشد الأسف على المهازل الرخيصة، والجنوح اللامسئول بهذه الوسائل الإعلامية إلى ما يفرز ضد الأجيال إلى ما لا تحمد عقباه، في أعز ما تملكه الأمة في قدرات شبابها وفتياتها! إن للإعلام دوراً كبيراً ومسئولية عظيمة في تشكيل عقول الأفراد، وتحديد معالم الشخصيات، وتوجيه السلوكيات، وغرس القيم والأهداف بما يحقق المصالح الخاصة والعامة، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فلا يقدم لأفراد الأمة ومجتمعاتها إلا كل ما يدعو إلى الخير والفضيلة، ويرسخ القيم الأصيلة، والمبادئ القويمة، والمثل العظيمة، وعليهم أن يستنقذوا أبناء هذه الأمة من التشويش الفكري، والعفن الأخلاقي، الذي ينعكس على حياتهم العملية، وسلوكياتهم اليومية، مما تعج به سماء القضاء، وترتج منه الأرض والأجواء!

إن الأعلام نبض الأمة، ومرآة المجتمع، فعليه مراعاة مسئولية الكلمة، وأمانة الحرف، وموضوعية الطرح، وشفافية الحوار، ومصداقية الرؤى، وليعلم الإعلاميون أنه بالمبادئ والقيم وبالعقيدة والإيمان يتميز الإعلام عند أهل الإسلام، فكم تعاني المجتمعات البشرية اليوم من جرائم وحوادث، وكم تجرعت من ويلات وكوارث، لماذا ارتفعت معدلات الجريمة بما يذهل العقول؟ لم يكن ذلك ليحدث إلا لما أهمل الإنسان مسئوليته.

إن من مسئوليات الأمة العظمى التصدي لألوان الغزو السافر، ضد عقيدتنا ومقدساتنا، والإبانة عن الموقف الحق ضد الحملات، التي تشن ضد ديننا وقيمنا ومبادئنا، والوقوف بحزم وحصانة، ورعاية وصيانة، لصد إخطبوط العولمة المفضوحة، بالحفاظ على مميزاتنا الحضارية، وثوابتنا الشرعية، والتصدي القوي ضد هذه الهجمة العدوانية ضد أمتنا الإسلامية؟ إن كلا مسلم على ثغر من ثغور الإسلام، فالله الله أن يؤتى الإسلام من قِبَله.

---

[1]) سورة القصص: 77.

إن الأثر الذي تحدثه أجهزة الإعلام على تنوعها، أثر خطير يجب أن يعطى حظاً وافراً من العناية والاهتمام؛ لأنها تملأ أسماع الناس بأصواتها، وتشغل أبصارهم بأفلامها وصحفها وصورها، وتكد عقولهم بأفكارها ومبادئها خاصة بعد أن أصبحت الكرة الأرضية قرية صغيرة بل على العكس فإن الإنسان في القرية قد يخفي عليه الكثير مما لا يخفي عليه في دول أخرى.

وهي سلاح ذو حدين:

أحدهما: قاتل فتاك يقطع العلاقة المتينة بين المسلم وأصول دينه التي يتوقف عليها نجاحه في الدنيا والآخرة.

وثانيهما: مقوم بناء يصل المسلم بماضيه المجيد بما يبث فيه من روح التهذيب والجد والرجوع إلى أصول دينه الحنيف، ليكون رجل الساعة المرتقب.

وقديما قال هتلر:أعطوني إعلاما ضالا أعطيكم شعبا جاهلا.([1]).

إن آلة الإعلام الحالية عندما تتحرى الكذب، يبدو أنها تتخذ مثلها الأعلى نظرية وزير الإعلام النازي (جوبلز) الشهيرة: "اكذب، اكذب، اكذب، حتى يصدقك الناس.. – وقديمًا بحث الكافرون عن الغلبة بهذه الطريقة فقالوا: ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾([2])

هذه المقولة اندثر جسد صاحبها؛ لكن العمل بها يبدو أنه لم يندثرْ؛ فنحن ما زلنا نشم روائح الكذب في بلاد الربيع العربي، وكنا نظن أنه عندما تفوح رائحة الكذب سيخجل الكذابون، ولكنها تتكرر وتتكرر حتى تعودت الأنوف رائحته، وصار طبقًا رئيسًا على الموائد بعد أن كان طبقًا جانبيا.

لذلك نعود لنؤكد أن حاجة المسلمين اليوم ليست إلى السلاح والعتاد بأشد منها إلى جهابذة كلمة الحق، الذين يُزيلون اللبس عن الناس، ويبلغون الحق عن رسل الله – عز وجل – الذين ورثوا أمانتهم وميثاقهم، ويصححون كذب آلة الإعلام بقدّها وقديدِها.

---

[1]) كتاب كفاحي لهتلر

[2]) سورة فصلت: 26.

فمن أكبر مسئوليات المسئولين عن تلك الأجهزة استخدماها في كشف وفضح هذه المؤامرات، وبيان محاسن الإسلام وحِكَمَه وأسراره في كل تشريعاته حتى لاتصل الأجيال إلى ما وصلت إليه من تنكر لدينها وكفر بمبادئه.

ولنأخذ أمثلة لما يبثه ويفعله الإعلام الأمريكي ضد الإسلام والمسلمين في شتى بقاع الأرض حتى يهب كل مسئول إعلامي بتحمل مسئوليته على الوجه الأكمل لعل وعسى.خاصة وأن هدف الإعلام الغربي هو طمس هوية الشعوب وتشويه عقائدها وثقافاتها وتاريخها،وهذا هدف أصلي من أهداف العولمة، وتوجّه رئيس في وضع خططها وبرامج تنفيذها، والنماذج على ذلك كثيرة وتكاد ألا تحصى، فمنها دراسة للدكتور "جاك شاهين" أستاذ علوم الاتصال الجماهيري بجامعة أليوني الأمريكية، رصد فيها نيات الإعلام الأمريكي تجاه الإسلام والمسلمين من خلال تحليل مضمونه خلال عشرين سنة مضت. يرى الدكتور شاهين أن صورة العربي المسلم في الذهن الغربي، يمكن تلخيصها بعبارة "الآخر الثقافي الخطير" الذي يهدد محاولات الانفراد الأمريكي بقيادة العالم بعد انهيار الشيوعية، ومن توابع هذه العبارة أن يكون مصطلح "الجهاد" و "عدم التسامح" و "اضطهاد المرأة" في الرواية الغربية مرادفاً لـ"كراهية الآخر" و "للتعصب" و "والعنف".

وتصور وسائل الإعلام الأمريكية العرب الأمريكيين أنهم "غرباء" ويشكلون "خطراً على الأمن القومي"، وأنهم يقفون جنباً إلى جنب مع مهربي المخدرات والمخربين ويؤازرون النشاط الإرهابي.

وتكشف الدراسة أن الإعلام الأمريكي يصوّر المسلمين على أنهم يعبدون القمر، قالت الإذاعية "جانيت مارشالز" ذلك عبر الإذاعة في 1996/5/15م، وكرر المستشرق الدكتور "روبرت مدري" مزاعمها في مطبوعات ومحاضرات.

وتُخرج المكتبات الأمريكية سنوياً مئات الكتب المعادية للإسلام، وتحمل عناوين مثل "ميزان الإسلام" و "الإسلام الملتهب" وكذلك مقالات تحت عناوين مثيرة مثل "جذور التعصب الإسلامي" و "الإسلام قد يكتسح الغرب" و "الحرب الإسلامية ضد الحداثة" و "القنبلة الزمنية الإسلامية".

وفي "السينما" يُصوّر المسلم على أنه "إرهابي".

وقد أنتجت هوليود، ما بين عامي 1986م و 1995م، ما بين 15إلى 20 فيلماً أسبوعياً (أي يُعرض بشكل مسلسلات أسبوعياً)، أظهرت فيه صورة بغيضة للعرب والمسلمين في أكثر من 150 فيلماً. وكانت صورة العربي في العشرينات تاجر عبيد وحشياً، وأصبح في السبعينيات والثمانينيات شيخاً بترولياً، والآن إرهابياً متعصباً يصلي قبل أن يقتل الأبرياء، ففي فيلم "ليس بدون ابنتي" المسلم يخطف زوجته الأمريكية وابنته إلى إيران، ولا يكتفي بسجن زوجته وضربها، بل يحرمها من ابنتها. وفي فيلم "أكاذيب حقيقية" وفيلم "القرار التنفيذي" يظهر الفلسطينيون في صورة أناس ساديين يقتلون القساوسة والأمريكيين الأبرياء، ويقومون بتفجير قنبلة نووية قبالة شاطئ فلوريدا، ويعملون لهدم أمريكا.

كما أن الدكتور "تشار" أجرى دراسة على مجموعة من الأفلام التي تُعرض على الأطفال عالمياً، فوجد أن:

- 29,6% تتناول موضوعات جنسية.
- 27,4% تتناول الجريمة.
- 15% تدور حول الحب بمعناه الشهواني العصري المكشوف.

هذا غيض من فيض للفساد الإعلامي الممنهج.

فإذا لم يقم كل مسئول إعلامي بدوره على الوجه الأكمل ويقاتل من خلال منصبه ودوره المنوط لانهارت كل القيم وانطمست الهوية وقلبت الحقائق وأصبح الباطل حقا والحق باطل.

المطلب الخامس

مسئولية الأمن

وفيه ستة أفرع

إن الفطرة الإنسانية تقتضي الاجتماع، ومتى وُجد جماعة من الناس، تَعين أن تقوم فيهم سلطة حاكمة ترعى مصالحهم، وتعمل من أجل بقائهم وتقدمهم، وتحجز بين أفرادهم حين تختلف المصالح.

وتعمل هذه السلطة وفقاً لمبادئ وأهداف تحاول تحقيقها، لا بد أن تكون واضحة في نظرها، ومقبولة من المجتمع الذي تتولى تنظيمه ورعايته، وقد تكون هذه المبادئ مستمدة من أعراف سائدة، أو نظم وتقاليد أفرزها تطور الحياة في المجتمع.

وقد تكون هذه المبادئ والأهداف والغايات، مستمدة من عقيدة دينية راسخة، كما هو الحال في المجتمع المسلم.

إذ لا بد لكل سلطة تقوم فيه، أن تستمد نظامها وأحكامها وقيمها وأهدافها وغاياتها من الإسلام، وبغير ذلك لا يستقيم لها حكم، ولا تلقى من تعاون مجموع الناس وتوحد جهودهم، ما يكفي لحفظ مصالح المجتمع وأمنه.

والمسئولية الأمنية تعتبر مسؤولية كل فرد من أفراد المجتمع، وهي من أهم مطالب المجتمع، بل هي ضرورة لتحقيق مصالح الفرد والمجتمع، وهي مشكلة تحتاج الاهتمام والعناية والمعالجة.

والمسئولية الأمنية عامة، وشاملة لجميع جوانب الأمن المختلفة: الفكرية، والجسدية، والاجتماعية، والسلوكية، والسياسية ....إن أخطر ما يهدد المجتمع هو فقدان الأمن، لأن الأمن يعتبر من أهم مطالب الحياة، لذلك كان لكل لمؤسسات دور وقائي للحد من الانحراف والجريمة والفساد ما أمكن، وتحقيق الأمن الذي يحقق مصلحة أبناء المجتمع.فسلامة المجتمع بسلامة أفراده، والمسئولية الأمنية، عمل كبير يجب أن يساهم فيه جميع أبناء المجتمع.

وسوف أتناول في هذه الفرع العناوين التالية:

. مفهوم الأمن.

. دور البيت في تحقيق المسئولية الأمنية .

. دور المدرسة في تحقيق المسئولية الأمنية .

. دور المسجد في تحقيق المسئولية الأمنية .

. دور المجتمع في تحقيق المسئولية الأمنية .

. دور الإعلام في تحقيق المسئولية الأمنية.

obeikandi.com

الفرع الأول

مفهوم الأمن

يحتل الأمن مكاناً هاماً بين اهتمامات المسئولين والمواطنين في المجتمع المعاصر لاتصاله المباشر بالحياة اليومية بما يوفره من طمأنينة في النفوس وسلامة في التصرف والتعامل([1]).

والأمن الاجتماعي هو السلامة والطمأنينة لجميع أفراد المجتمع في كل مجالات الحياة، وإصلاح الفرد في المجتمع، وتحقيق أهدافه التي تتجلى بالعلم والتعلم والتربية والثقافة، والوصول بالفرد والجماعة إلى حالة من الصلاح توصف بأنها حالة اجتماعية مثالية، والسبيل الوحيد للوصول إلى ذلك هو تحقيق الأمن الاجتماعي للفرد والجماعة ([2]) .

ويتجلى الوصول ويكمن في تربية الفرد تربية إسلامية صحيحة، وإعداده إعداداً فكرياً انطلاقاً من معطيات الإسلام ومقتضياته، والحقيقة إن منطلقات هذه التربية وركائزها الأساسية هي البيت والمسجد والمدرسة. وأن القائم على مهام البيت يتلقى أساس تربيته ومبادئها في المسجد والمدرسة، وهنا يدعو إلى ضرورة إعداده إعداداً تربوياً سليماً ([3]) .

إن توفير الأمن عامل أساسي في حفظ الإنسان ومجتمعه، ولا يمكن أن يتحقق إذا لم يحدث اقتراب علمي وواقعي من مقومات حياة الفرد والجماعة، والتزام المجتمع المنظم بتوفير الأمن لأفراده لا يمكن أن يتحقق ميدانياً إلا بمساهمة هؤلاء الأفراد في تحقيقه كل حسب قدرته وقدره .

والأمن هو انتصار الإنسان على نفسه، فلكل نفس هواها تتبعه وهي تواقة إلى تحقيق ذاتها كارهة للقيود والحدود، لأن النفس جبلت على الخير والشر ([4]).

وبقدر ما تكون النفس الإنسانية مستعدة للتجاوب مع ما يفرضه عليها الضمير الجماعي من قيم، بقدر ما يحصل التوافق بين الإنسان ومجتمعه؛ لأن النفس مجبولة على شيم مهملة، وأخلاق مرسلة، لا يستغني محمودها عن التأديب، ولا يكتفي بالمرضي منها عن التهذيب.

---

[1]) الأمن الاجتماعي، ص 17.

[2]) علم الاجتماع الديني ، ص 454.

[3]) نحو أمن فكري ، ص(193)

[4]) الأمن الاجتماعي، ص (26)

openkanal.com

والأمن لا يمكن أن يتحقق بمفهومه العام ما لم يتأمن أمن المواطن على نفسه وروحه وماله، وإذا كنا نؤكد على وجوب توفر المبادئ السلوكية والأخلاقية والاجتماعية كركائز ضرورية ولازمة لقيام أمن اجتماعي ثابت ومستقر، فإن هناك الركيزة الأهم وهي العقيدة الإسلامية التي تجمع بين أفراد المجتمع الواحد، كما هي جامع بين شعوب متباعدة الأوطان، وهي عنصر أساسي في التماسك الداخلي للمجتمع، فالعقيدة الإسلامية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتحصَّن الإنسان بالتقوى ومخافة الله سبحانه وتعالى، وتنمي لديه الشعور بمسئوليته الذاتية تجاه نفسه ومجتمعه، وتجاه ربه؛ عن أفعاله كافة، لأن الدين المتبع يصرف النفوس عن شهواتها ، ويعطف القلوب عن إرادتها ، حتى يصير قاهر للسرائر زاجراً للضمائر، رقيباً على النفوس في خلواتها، نصوحاً لها في ملماتها ... فكان الدين أقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها ، وأجدى الأمور نفعاً في انتظامها وسلامتها([1]) .

كما يشترط لتوفير الأمن أجهزة ومؤسسات متخصصة تأخذ كل منها قسطاً من المسئولية الملقاة على عاتق المجتمع ، ومن ضمن هذه المؤسسات والأجهزة تلك المسئولية عن الأمن بصورة عامة وعن سلامة المواطن بصورة خاصة ، فمهما بلغت درجة رقي الإنسان والمجتمع البشري يبقى بحاجة إلى عين ساهرة على أمنه، وان الثقة بالأجهزة الأمنية عامل إيجابي، كما هي عامل رادع لكل عابث، لأن إحدى مقومات الأمن الاجتماعي هي في توفر أجهزة أمنية فاعلة تقي المواطن جنوح الجانحين ([2]) .

سبق أن تحدثنا عن دور الأسرة والمدرسة والمسجد في تنمية المسئولية المجتمعية وهنا نتناول دورهم في المسئولية الأمنية أي نتحدث عن دورهم من زوايا مختلفة وبمضمون مختلف وعنوانين مختلفة حتى لايختلط الأمر.

[1]) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق مصطفي الزرقا، الناشر دار الكتب العلمية بيروت /ط3/ القاهرة. ص (226)

[2]) الأمن الاجتماعي ، ص 136.

الفرع الثاني

دور المنزل في تحقيق المسئولية الأمنية

يعتبر البيت أهم الجهات المسئولة عن تربية الأبناء، حيث تحتل المرتبة الأولى في التربية، والنصوص الإسلامية واضحة وصريحة في بيان مسئولية الآباء عن تربية الأبناء.

إن دور المنزل كبير على صعيد الوقاية من الانحراف والإجرام، إذ تقع عليها مسئولية الخلل السلوكي الذي يمكن أن يطرأ على أفرادها لاسيما الأحداث منهم إذا كان هناك ضعفاً وتباعداً في الرابطة العاطفية والوالدية بين الآباء والأبناء ، ويترتب على هذا التباعد غياب رقابة الوالدين وغياب النموذج السلوكي الذي كان يقتدي به الأبناء، فينشأ الأولاد بقدر من الضوابط السلوكية أقل بكثير من قبل، مما يحجب عنهم الرؤية الصحيحة لواقع العلاقات الإنسانية فينحرف من ينحرف منهم، ويكاد يكون المهددون بخطر الانحراف أكثر بكثير مما هو متصور([1]).

الفرع الثالث

دور المدرسة في تحقيق المسئولية الأمنية

للمؤسسات التعليمية دور كبير في تحقيق المسئولية الأمنية التي يمكن أن يكون لها دوراً وقائياً هاماً لدرء الفساد وارتكاب الجريمة، وذلك بغرس أساليب التربية والتعليم والأخلاق والقيم والسلوك والمنهج الصحيح في نفوس المواطنين.

تعد المدرسة المؤسسة التعليمية الثانية بعد المنزل، حيث تتولى مسئولية تأهيل الولد اجتماعياً إلى جانب تأهيله علمياً.

ويجب أن يُأخذ بعين الاعتبار أن معظم حالات الانحراف والإجرام توحي بوجود ضعف في دور المدرسة التربوي، لأن هناك نسبة لا بأس بها من المنحرفين الأحداث من تلامذة المدارس، لذلك يجب أن يحصل تفاعل بين المدرسة ومحيطها، بحيث يجعل منها مؤسسة مفتوحة رائدة في تعميم التربية والمعرفة،لأن انفتاح المدرسة هو انفتاح على العالم،مما يسهل لها متابعة رسالتها السامية في إيجاد المواطن الصالح،لأن تنمية المواطنين الصحيحة لدى الطالب في المدرسة تفترض من توجيه التعليم نحو خلق الشعور بالنظام والتنظيم لديه، بحيث يتهيأ

[1]) الجريمة والمجرم ، دراسة د /فهد الثاقب ، جامعة الكويت ص(17)

obeikandi.com

ذهنياً ونفسياً للتوافق مع متطلبات الحياة الاجتماعية ([1]). إن معظم حالات الانحراف والإجرام مردها إلى عدم انتظام الفرد الجانح أو المجرم ضمن مسالك الحياة الاجتماعية القويمة وإلى فقدان التنظيم في حياته الشخصية، والتعليم على النظام والتنظيم لا يتم بصورة نظرية، بل إنه تعليم عملي تطبيقي يبدأ بالبيت، حيث يعلم كيف ينتظم ضمن أطر سلوكية معينة، وكيف ينظم حياته ويقاوم نزعاته الانفعالية ويضبطها، ومن ثم هذا التعليم في المدرسة بما تفرضه الحياة ضمنها من نظام وتنظيم يطلب من الطالب التدرب عليها، ومن ثم إتباعها في كل لحظة من لحظات تواجده ضمن البيئة المدرسية وهما مرحلتا التكيف الاجتماعي الأوَّلي ومرحلتا الاختبار العملي ترافق الإنسان طيلة حياته فتحول دون انحرافه عن المسلك الاجتماعي القويم ([2])

الفرع الرابع

دور المسجد في تحقيق المسئولية الأمنية

يتميز المسجد عن سائر المؤسسات التربوية والتعليمية بأن المسجد بيت من بيوت الله سبحانه وتعالى، وله دور كبير في جميع مجالات الحياة وله قداسته التي لاتتوفر لغيرة من المؤسسات الأخرى مهما كانت مكانتها.

فالمسجد يكمل بناء المجتمع ويدعمه ويقوي أركانه ويعمق في النفوس الإحساس بالفضائل التي غرستها الأسرة والمدرسة، بل يغذيها وينميها ويتعاون معهما في بناء المجتمع الراشد المتجه نحو الصلاح والفلاح بهداية من الله سبحانه وتعالى، وبالتردد على المساجد يتعلم النشء النظام والدقة والنظافة والاستواء، وينمو شعور التآلف بين المصلين، فتتكون العلاقات الطيبة وتسود المجتمع روح الخير والأخوة ([3]).

---

[1]) التربية قديمها وحديثها ، ص 342.

[2]) الأمن الاجتماعي ، ص 426 . 427 .

[3]) الشريعة الإسلامية ودورها ، ص 212.

obeikandi.com

الفرع الخامس

دور المجتمع في تحقيق المسئولية الأمنية

يتألف المجتمع من مجموعة شخصيات إنسانية، وكل إنسان عالم قائم بذاته، وأن تكيَّف الفرد مع بيئته وأفراد مجتمعه هو حصيلة مجهود تربوي اجتماعي، يصقل الشخصية الإنسانية من خلال تنمية قدراتها الشخصية على التعامل مع الآخرين بصورة يبقى معها التوازن قائماً بين المتطلبات الفردية والمتطلبات الجماعية، والمجتمع الواحد يضم ثقافات مختلفة تتحكم بها مفاهيم مأخوذة عن التربية الأساسية التي تلقاها الأفراد عن عائلاتهم وبيئتهم الاجتماعية متفاعلة مع ما يحيط بها من ثقافات أخرى متجاورة ([1]) .

إن السبيل إلى التوافق بين الثقافات المختلفة في مجتمع واحد هو إيجاد الاتصال بين الأفراد بصورة تضمن الحوار المستمر والتعامل العادل بينهم.وتتجسد مسئولية المجتمع عن تربية أبنائه في أمور وأساليب تعتبر من أفضل أساليب التربية الاجتماعية، وأهمها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وهي مؤسسة من مؤسسات الدولة الإسلامية التي تقوم بجانب كبير من جوانب التربية ، وتعتبر الوسيلة العملية التي يظهر فيها المجتمع كعامل حاسم ومؤثر في التربية([2])

فالمجتمع بتعدد الثقافات فيه وتعدد المناهج التربوية الفردية يحتوى على فئات من الناس غير مؤتلفة مع القواعد السلوكية التي تقوم عليها الحياة العامة ، فيجنحون حول ارتكاب الانحرافات الأخلاقية السلوكية، ونحو مخالفة القوانين والأنظمة، وليس بمقدور السلطة الوقاية من هذه الانحرافات وملاحقتها وضبطها ومعالجة مرتكبيها إلا بمعاونة المواطنين وتجاوبهم مع متطلبات السلامة العامة، فالتعاون بين المواطنين والسلطة بغية التصدي للانحراف والجريمة أمر لازم وضروري، حفظاً للأمن الاجتماعي الذي ينشده ([3])

ولا صلاح لمجتمع في الأرض إذا لم يشعر كل فرد فيه بمسئوليته تجاه الآخرين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أرقى صور المسئولية؛ بل هو جماع الفضائل كلها، وهو مبدأ

---

[1]) الأمن الاجتماعي، ص 433.

[2]) طرق تدريس التربية الإسلامية، ص 35.

[3]) الأمن الاجتماعي، ص 446.

إصلاحي، وأصل عظيم من أصول الإسلام يتعاون فيه أفراد المجتمع على دفع الشر عنه ، وفي التواصي بعمل الخير، ولا يخفي ذلك من صلاح المجتمع واستقامة أمره . ([1])

وعندما تتولى السلطة تنفيذ أوامر الشريعة تصبح تعاليم الشريعة سلوكاً سياسياً تسلكه الدولة مع جميع رعاياها ([2]).

ومن واجب أولياء الأمور في المجتمع المسلم بحكم ولايتهم أن يحققوا لكل من يقيم تحت سلطانهم الأمن على نفسه وعرضه وماله، سواء أكان من المواطنين أم من المقيمين.

إن محاولة الإخلال بأمن المجتمع المسلم عن طريق ارتكاب جرائم القتل أو النهب، أو حتى إرهاب الناس، ونزع الشعور بالأمن من نفوسهم، يعتبر من الناحية الشرعية محاربة الله ورسوله تستوجب إقامة الحد ([3]) .

فحماية الفرد من العدوان على نفسه وبدنه من أهم واجبات ولي الأمر، فهو المسئول عن إقامة الحدود وإنزال القصاص بمن يستحقه من المعتدين على الأنفس والأبدان.

الفرع السادس

دور الإعلام في تحقيق المسئولية الأمنية

إن الدور الذي يقوم به الإعلام في المجتمع أصبح دوراً هاماً في حياة الشعوب، بل أصبح حاجة ماسة يشعر بها الإنسان كلما أراد توسيع معرفته ومتابعة أمور بلده والعالم، والاستزادة من العلم والثقافة والمقدرة على تفهم الأمور والتحكم بالمستجدات وقد سبق الإشارة إلى ذلك في مسئولية الإعلام.

هذا الدور الذي يقوم به الإعلام في حمل الرسالة التربوية إلى المواطن يساهم إلى حد كبير في توفير الأمن الذي ينشده المواطن، فالمواطن بحاجة مستمرة لهذه الرسالة، لأن مضمونها قابل دوماً للتطور بالنظر للمستجدات الكثيرة التي تطرأ في حياته فتحدث فيها تحولات،كما تحدث في محيطه ومجتمعه([4])

---

[1]) الشريعة الإسلامية ودورها، ص 188 .

[2]) أصول التربية الإسلامية، ص 67.

[3]) الأمن في حياة الناس وأهمية في الإسلام، ص 43.

[4]) الأمن الاجتماعي، ص 570.

فإذا كانت الرسالة الإعلامية قد اعتمدت على الإذاعة والراديو في بادئ الأمر للوصول إلى الناس في أقاصي الدنيا؛ فإن التلفزيون يلعب حالياً دوراً أعظم؛ لأنه يشرك السمع والبصر في عملية التعليم والتوجيه والتربية ([1]) .

لقد انتقل دور الإعلام من ناقل للمعلومات والأنباء والأوامر والتعليمات والقصص وشئون الناس والدول إلى وسيلة تطوير وتنمية وإدارة سياسية وتوجيهية وثقافية وتربوية وتعليمية ([2]) .

وبالإضافة إلى الدور الأساسي للإعلام في تكوين الرأي العام المتجاوب مع الرسالة التربوية، فإن له وظائف أخرى تنصبُّ على التنمية الاجتماعية إلى جانب وظائف سائر المؤسسات والأجهزة العامة والخاصة التي تتألف منها هيكلة الدولة الحديثة، والتي ترمي كلها إلى توفير الأمن الاجتماعي للمواطنين.

إن من أراد أن يعرف نعمة الأمن عليه أن ينظر إلى دول مثل سوريا وليبيا واليمن والعراق، وليحمد الله على ما به من نعمة.

ونخلص بذلك إلى أن الأمن يعتبر حاجة أساسية للأفراد،كما هو ضرورة من ضرورات بناء وتطور المجتمع، وصمام أمان لبقائه، و مرتكز أساسي من مرتكزات تشييد الحضارة، فلا أمن بلا استقرار ولا حضارة بلا أمن، و لا يتحقق الأمن إلا في الحالة التي يكون فيها العقل الفردي والحس الجماعي خاليا من أي شعور بالتهديد للسلامة والاستقرار، فالإنسان يستشعر منذ ولادته حاجته إلى الاستقرار بصورة غريزية ولا يهدأ باله إلا إذا شعر بالأمان والاطمئنان، و عليه فحفاظاً على مسيرة الحياة البشرية بصورة آمنة كان لزاما على جميع المجتمعات بذل كل الجهود للقيام بالمسؤوليات المنوطة بها تجاه مواطنيها لتحقق لهم أكبر قدر ممكن من الأمن والاستقرار من خلال إيجاد المؤسسات الأمنية وعلى رأسها مؤسسة الشرطة التي كلها تحرص على رعاية قواعد السلوك العام، والعمل على عدم الخروج عنها، حتى أصبحت اليوم تشكل بحق عماد سلطة المجتمع، لأنه مهما تباينت النظم السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية للمجتمعات فمن المسلم به أنها صارت تمثل التجسيد الطبيعي

[1]) التلفزيون والتنمية الاجتماعية، والتعليم عن طريق التلفزيون والراديو واستخدامها في التنمية 85 .

[2]) الأمن الاجتماعي، ص 563.

لسلطة المجتمع من خلال القيام بواجباتها الأمنية للحفاظ على الأمن والاستقرار، وبما أن أفراد المجتمع ومؤسساته هم من تقع عليهم مسئولية المشاركة مع المؤسسات الأمنية، فإنه من الواجب عليهم دعم أمن المجتمع بصورة مباشرة وغير مباشرة كما يعتبر واجباً حتمياً عليهم أقره الدين وكافة النظم والأعراف، وفي المقابل لابد أن تخرج المؤسسات الأمنية عموما والشرطة على وجه الخصوص عن نطاقها التقليدي والانخراط مع المجتمع وتقديم خدمات اجتماعية له حتى يكتسب هذا الجهاز الأمني حب وتقدير كافة أفراد المجتمع.

المطلب السادس

المسئولية الثقافية

ليس استطرادا للقول إن الثقافة هي النبراس الذي يضيء الحاضر والمستقبل وهي التي تستطيع نقل الفرد من رتابة الحياة إلى متعة البحث والاستكشاف ويعتبر الوجه الثقافي لأية أمة هو المرآة التي تعكس ما لهذه الأمة من سمات حضارية، ومن ملامح معرفية يمكن من خلالها قياس درجات الوعي الإنساني ومدى اتساقه مع معطيات العصر وآليات التطور والتقدم، ومن هنا فإن إضاءة هذا الوجه الثقافي يعطي العمل الثقافي مطلباً إنسانيا في الدرجة الأولى ويعطي أن فعل التثقيف مسؤولية كل فرد يحرص على أن يبقى مجتمعه جديرا بالتحقق وسط عالم يركض صوب معرفة ابعد، وصوب آفاق تتفتح بسلطان العلم، ومما يسترعي الانتباه أن الثقافة هي النقطة المحورية التي تتأسس منها رؤيتنا لهذه الأمة، أو تلك وتتحدد انطباعاتنا الأولى عنها.وتتمثل مطالب المسئولية الثقافية في:

- القيام بحركة منهجية لبناء شخصية المسلم فكرياً وإدارياً وعملياً خلال تدرج فطري مركز قائم على منهج للشريعة الواضح السهل والميسر.
- التثقيف الإسلامي في المدرسة للناشئة وعدم الاكتفاء بالمناهج الدراسية، لأنها محكومة بزمن، فيستفاد من النشاط اللامنهجي ومن المقرر الذي يدرسه.
- تنظيم المسابقات الثقافية الهادفة في فروع العلم المختلفة وعلى رأسها حفظ القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وبعض أبواب الفقه، والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي. حسب المراح العمرية المختلفة.

- جعل التعيين في الوظائف الحكومية مرتبط بحفظ أجزاء معينة من القرآن مع عقد امتحان للملتحق بأي عمل بجانب الشهادة الحاصل عليها في الثقافة العامة التي تعود عليه وعلى المجتمع بالنفع. ولا يخفي على احد ما كان يفعله حسان بن ثابت رضي الله عنه من مجاهدة للعدو بالكلمة.

المطلب السابع

المسئولية الطبيــة

إنه لمن نافلة القول أن نؤكد على أن الشريعة الإسلامية قد سبقت التشريعات الحديثة كلها في إرساء قواعد المسؤولية الطبية بما يكفل حماية الطبيب ويحفظ حقوق المريض ويشجع على تطوير المنهج العلمي للمهمة الطبية.

ويقتضي العمل في المجال الطبي بمختلف تخصصاته تعامل الطبيب مع مرضاه ويقتضي هذا التعامل ترتب مسئولية يتحدد حجمها تبعا لطبيعة التعامل ومقداره.

والطب أمانة، فمن تعلمه وامتهنه أصبح مكلفا ومسئولا بعلمه وعمله بما يترتب على ذلك من جزاء. وتتميز مسئولية الطبيب عن المسئولية في أي مهنة أخرى لارتباطها المباشر بالنفس البشرية.

التي شدد الله في الحفاظ عليها فقال تعالى:{ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}([1]) وأرشدت السنة النبوية الشريفة إلى هذا، ففي الحديث الصحيح: " إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ففي بلدكم هذا في شهركم هذا ".([2])

إن العلاقة التي تنشأ بين المريض والطبيب علاقة توجب طبيعتها التزام الطبيب ببذل جهده في علاج المريض، بعد إذنه وموافقته مع حسن نيته في العمل والحفاظ على أسراره وعدم البوح بها، كذلك الحفاظ على عرضه. ولسنا هنا في مجال الحديث عن الجانب الفقهي وبيان حدود المسئولية وإنما أردت الإشارة إليها من باب الأمانة فقط التي تندرج تحت المسئولية عامة.

---

[1]) سورة الأنعام:151.

[2]) رواه البخاري.

المطلب الثامن

دروس المسؤولية الجماعية في الإسلام

بعد أن طفنا وسبحنا بين المباحث والمطالب والفروع والنقاط أرانا وصلنا في هذا المطلب إلى ما نبغيه من دروس وعبر تتمثل في:

أولاً: صور من المسؤوليات:

إن جميع المصالح العامة والخاصة تنطلق من الحفاظ على المقاصد الشرعية الخمسة: وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

ثانيا:الأساس الفقهي للمسؤولية الجماعية:

لا مسؤولية في الإسلام دون تكليف ولا تكليف دون مسؤولية والتكليفات الواجبة في الشرع بالنسبة للمكلفين تنقسم إلى قسمين:

1) الواجبات العينية: وهو ما طلب الشارع فعله من كل فرد من الأفراد المكلفين ومثاله فعل الواجبات كالصلاة والصيام والزكاة والحج والوفاء بالعقود وترك المحرمات كترك القتل والزنا وشرب الخمر وعدم أكل أموال الناس بالباطل.

2) ففعل الواجبات واجتناب المحرمات واجب عيني وقد أطلق على الواجب المذكور اسم الفرض العيني..

3) الواجبات الكفائية: وهو ما لم يطلب الشارع فعله من كل مكلف على حدة بل اكتفي بإيجاد البعض له.

وبعبارة أُخرى هو الذي إذا فعله البعض سقط عن الباقين وهذا الواجب نوعان:

أ– **ديني**: كصلاة الجنازة والجهاد إذا لم يدخل العدو بلاد الإسلام بل كان على مشارفها ومنه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالنسبة لمجموع الأمة يقول الله تعالى:{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }([1])

[1]) آل عمران:104.

obeikandi.com

ب- دنيوي: كبناء المستشفيات والقيام بالحرف والصناعات وغيرها من الأمور التي يتحتم حصولها في الأمة من غير نظر إلى فرد بعينه حتى تحقق ما أمرت به الشريعة من إعداد القوة الواجبة."

هناك مسألتان تتعلقان بالواجب الكفائي:

- **المسائلة الأولى:**

فيمن يتعلق به خطاب هذا الواجب على ثلاثة مذاهب:

الأول: أن خطابه موجه إلى كل فرد بعينه وذلك لأمرين:

أ- ورود خطابه في بعض الأحوال إلى الجميع لا إلى فريق دون فريق.

ب- لحوق الإثم والذنب للجميع عند تركه.

الثاني: أن خطاب الواجب المذكور موجه إلى مجموع المكلفين لا إلى كل فرد بعينه بمعنى أن المجموع يكلف به بحيث لو نفذ سقط الطلب عن من لم يقم به ولو لم ينفذ لإثم المجموع وأصحاب هذا المذهب فضلوه على سابقه خوفا من مظنة نسخ الحكم عن من لم يقم به في حالة تأدية الغير له إلا أن الإجماع منعقد على أن ذلك لا يعد نسخا وأن تأدية الواجب هي مقصود الخطاب وهذه التأدية تسقط التكليف عن الآخرين.

الثالث: أن خطاب هذا الواجب يتعلق بالبعض الذي ظن أن غيره لم يفعله فكل من غلب على ظنه ذلك وجب عليه الفعل بدليل ان خطاب هذا الواجب قد توجه إلى بعض الأفراد يؤيد قوله تعالى.

والراجح من الآراء هو القائل بأن خطاب الواجب الكفائى يتوجه إلى كل فرد بعينه وهو أولها وذلك لملحظ هام وهو عدم إلقاء أي فرد مسئولية القيام بالواجب على غيره كي يظل كل واحد متحملا مسئوليته، سدا لذريعة التواكل.

- **المسالة الثانية:**

تحول الفرض الكفائى إلى فرض عيني قد ينقلب الفرض الكفائى إلى فرض عيني إذا لم يوجد في الجماعة من يقوم به سواه وذلك لأن الأحوال تتغير وتتبدل وكل حال له ما يناسبه فالواجب الكفائى يناسب حالا معينا فإذا تغير هذا الواجب نفسه يتغير بما يلائم الحال اللاحق فمثلا إنقاذ الغريق فرض كفاية إذا قام به بعض المستطيعين سقط الوجوب عن

الباقين لكن إذا لم يوجد في المكان الذي اشرف فيه الشخص على الغرق سوى فرد واحد وكان يحسن السباحة تحول الواجب الكفائى إلى واجب عيني فيتعين عليه أن لم يحسنها تعين أن يستغيث فربما يوجد من ينقذه.

ثالثا:مجالات المسئولية الجماعية وتشمل:

1. المسؤولية الجماعية في مجال (حفظ الدين):

الدين هو الوحي الإلهي الذي ينزل على الرسل وبمعنى جميع الشرائع المنزلة والأحكام الشرعية والدين بمعناه الروحي أو الضروري لهداية العقول إلى الحق والخير، والدين بمعناه الإيمان بأركان الإيمان لإيجاد النفس المستقرة والمطمئنة البعيدة عن الجزع والاضطراب والقلق فضلا عن الانهيار العصبي أو الانتحار، كما أنه ضروري لحياة الجماعة لأن يضمن تنفيذ التشريع بدقة، ويقضي على كل الأمراض التي تفسد علاقات المجتمع .

إن حقاً على أهل الإسلام أن يقوموا بمسئوليات في تحقيق نصرة هذا الدين بكل ما أوتوا من إمكانات، وأن تتكاتف في ذلك جميع القنوات.

الأسر والبيوتات، الآباء والأمهات، المدارس والجامعات، المساجد والإعلام والمنتديات،الشعوب والحكومات، والمجتمع بكافة فئاته، ووسائل الإعلام بشتى قنواتها مسموعها، ومقرءوها، ومرئيها، الكل يؤد واجبه، في التربية والبناء، وغرس القيم والأخلاق في البنات والأبناء، ليخرج جيل مثالي من الرجال والنساء، وبذلك يتحقق الأمر المنشود، ويتجدد المجد المفقود، والتطلع المعقود، وما ذلك على الله بعزيز.{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ*وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}([1])

فالدين بمعنى: الأحكام المشروعة ضروري لتوفير قواعد العدل والمساواة بين الناس، وحفظهم من مزالق الأهواء والشهوات فضلا عن النعيم المقيم في الآخرة.

حفظ الدين من جانب الوجود: يكون بالأمر بالإيمان وتحديد أركانه وفرض أركان الإسلام وتشريع سائر العبادات.

[1]) سورة الأنفال:27، 28.

obeikandi.com

حفظ الدين من جانب العدم: من خلال مشروعية الجهاد في سبيل الله بالأنفس والأموال ومشروعية قتل المرتدين والزنادقة، ومحاربة الابتداع في الدين بالحد والتعزيز.

إن مسؤولية الجماعة المسلمة في حفظ الدين تكون بإقامة أركانه ، وتثبيت قواعده على أصوله المستقرة ودرء كل اختلال واقع أو متوقع وهذا يتطلب من الأمة المسلمة القيام بمجموعة من المسؤوليات الكفائية منها:

• الدعوة إلى الله تعالى:تقوم الدعوة إلى الله تعالي على أساسين هما:

البصيرة العلمية: قال علماء اللغة: البصيرة: الفطنة. تقول العرب: أعمى الله بصائره؛ أي فطنه.

البلاغ المبين: مهمة الرسل والأنبياء وأتباع الرسل وهي إبلاغ دعوة الحق إلى جميع الناس وإلى الثقلين.

• تعلم وتعليم العلوم الشرعية: ذلك بهدف تطبيقها على الواقع وإنزالها إلى الحياة لتحكم السلوك الإنساني وفق شريعة الله تعالى.

• الاجتهاد: ليكون بصدد كل حادثة جديدة اجتهاد يحفظ به الدين وهناك نوعان من الاجتهاد هما:

– الفردي الذي يقوم به شخص واحد تحققن فيه شروط الاجتهاد.

– والجماعي الذي يشترك فيه مجموعة من العلماء من أجل استنباط الأحكام الشرعية التي تكون محل اتفاق جميعهم وأغلبهم بعد التشاور فيه.

2. المسؤولية الجماعية في مجال (حفظ النفس):

حفظ النفس مصلحة حفظ النفس تشمل الجوانب المتصلة بها ومنها:

أ–المحافظة على حق الحياة والوجود.

ب– المحافظة على العزة والكرامة في الحياة وهو ما يميز به الإنسان عن الحيوان، بل إن الإنسان قد يدفع روحه ثمنا لضمان العيش الكريم.

ج–المحافظة على الحرية الإنسانية من حرية العمل والفكر والرأي والإقامة.

** قد تكفلت الشريعة بحفظ مصلحة النفس من جانبها المدني خلال تنظيم المؤسسات المجتمعية التي تقع عليها مسؤولية الحفظ المادي للنفوس في المجتمع.

مثال لذلك: التبرع بالدم مسؤولية مجتمعية وصدقة عظيمة: فالتبرع بالدم معاونه وإنقاذ لحياة المريض من أعظم القربات وأفضل الصدقات..

فإن الصدقة بالدم أعلى منزلة وأعظم أجرا، لأن الدم سبب الحياة وهو جزء من الإنسان، والإنسان أغلى من المال وكأن المتبرع بالدم يجود بجزء من كيانه المادي لأخيه الإنسان حبا وإيثارا.

3. المسؤولية الجماعية في مجال (حفظ العقل):

حفظ العقل والمقصود بالعقل في معرض الحديث عن حفظه هو القوة الإدراكية التي يستطيع الإنسان عن طريقها إدراك العلوم وتحصيل المعارف، وهي مناط التكليف عند البلوغ كما ذهب جماهير العلماء.

حفظ العقل يأتي من جانبين:

- الحفظ المادي من المفسدات المادية..
- الحفظ المعنوي بالعلم والمعرفة والبحث العلمي..

تحرص الشريعة على حفظ عقل الإنسان لعدة أمور:

أ– الحفظ التنموي للعقل: أن العقل مناط التكليف ولا يتحقق الدين الذي ارتضاه الله لعباده إلا فيمن يتمتع بقواه العقلية السليمة فهو هنا يدخل في حفظ الدين.

فمثلا الله تعالى حرم الخمر ليس لذاته لكن علة تحريم الخمر أنه يذهب العقل وبالتالي يرتفع التكليف ويتعذر تنفيذ الأحكام الشرعية وبالتالي ترتفع الشريعة، ومن الملاحظ أن بقاء العقل مقصود للشرع لأنه آلة الفهم وحامل الأمانة ومحل الخطاب والتكليف.

ب – حفظ أصل العقل: أن العقل جزء من الإنسان وبدنه والإساءة إليه إساءة لجزء من البدن بل لأهم جزء فيه.

ج– الحفظ الوقائي للعقل: وليكون المجتمع سليما فالعقل مقصود للشارع، والعقل ليس ملكا لصاحبه لأن مفسدة فقدان العقل يتضرر منها المجتمع برمته، ويصبح فاقد العقل شرا على المجتمع يناله الأذى والاعتداء فعناية الشارع بالعقل وقاية للمجتمع من الشرور والآثام.

obeikandi.com

4 المسؤولية الجماعية في مجال (حفظ النسل):

حفظ النسل تأتي أهمية المحافظة على مصلحة النسل للمحافظة على مصلحة النفس التي لا تتحقق إلا بالتناسل.فالإنسان خليفة الله في أرضه ولاستمرار الخلافة لابد من التناسل والتعمير لاستمرار الجنس البشري .فمن مسؤوليات المجتمع حفظ النسل بالزواج وذلك من خلال العمل على تيسير أمره، وإزالة ما تعترضه من عقبات مالية أو اجتماعية تعطل إتمام مقاصده ، فتؤدي بالتالي إلى إغلاق باب العفة ، وتيسير الوقوع في الحرام، وإضاعة النسل.

وشرعت الشريعة الإسلامية رزمة من الأحكام الشرعية ووضعت من الضوابط مما يكفل المحافظة على هذه المصلحة، حيث وضعت تشريعا دقيقا ومتكاملا لنظام الزواج(اختيار الزوجة المناسبة – عقد الزواج وأركانه وشروطه – نوع العلاقة التي تربط بين الزوجين – الوسائل التي تساهم في دوام هذه العلاقة – حقوق الزوجين والأطفال.)

لأن في وقتنا الحالي يشكي الكثير من المصروفات التي تستهلك للزواج مما يجعل الرجال يبتعدون عن حياة الزواج ويعيشون حالة العزباء مما يؤدي إلى قلة عدد التناسل الذي قد يؤدي إلى تدمر المجتمع..

فقفز المجتمع إلى هذه المشكلة وقام بحلها وذلك عن طريق إقامة مؤسسات تساهم في تيسير أمر الزواج وإزالة العقبات..قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة".([1]) والتكثير ليس مقصودا لذاته ، وإلا كان غثاء السيل إنما المقصود به الكثرة الصالحة القادرة على حمل أعباء الدعوة لتبلغها للناس جميعا في مشارق الأرض ومغاربها وهذا لا يأتي إلا إذا كان الأبوان على درجة من الوعي المتكامل يتمكنان من تربية جيل معافي من الأسقام النفسية والجسدية، قوي في شخصه وجسده مثلما هو قوي في إيمانه.

5 المسؤولية الجماعية في مجال (حفظ المال):

العمل:أمرنا الله –تعالى– بالعمل، والجد في شئون الحياة، في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، فقال سبحانه:{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا

[1])سنن أبي داود برقم(2050)

اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}([1]) وقال تعالى:{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}([2])

وقال تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }([3])

وعلى كل مسلم أن يؤدي ما عليه من عملٍ بجد وإتقان؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بإحسان العمل وإتقانه، كذلك فإن الطالب عليه أن يجتهد في مذاكرته؛ لأنها عمله المكلف به؛ فيجب عليه أن يؤديه على خير وجه، حتى يحصل على النجاح والتفوق.

والمسلم لا يتوقف عن العمل مهما كانت الظروف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها.([4])

وقد نهى الإسلام عن أن يجلس الرجل بدون عمل، ثم يمد يده للناس يسألهم المال، وقد وصف الله –تعالى– فقراء المؤمنين بالعفة، فهم مهما اشتد فقرهم لا يسألون الناس ولا يلحُّون في طلب المال، يقول تعالى:{لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ الله لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ }([5])

تدوير المال:إعادة تدوير الأموال الناتجة عن الأعمال غير المشروعة في مجالات وقنوات استثمار شرعية لإخفاء المصدر الحقيقي لهذه الأموال ولتبدو كما لو كانت قد تولدت من مصدر مشروع ومن أمثلة هذه الأعمال غير المشروعة (الأموال الناتجة عن تجارة المخدرات – الرقيق – الدعارة – الأسلحة)

حفظ المال: المال عصب الحياة وإقامة كثير من شعائر الدين تتوقف على المال ، ثم لا غنى للنفس في بقاءها عن المال بل لا قيام للحياة مع فقد المال.

---

[1]) سورة الجمعة:10.

[2]) سورة الملك:15.

[3]) سورة التوبة: 105.

[4]) صحيح الجامع برقم(1424).

[5]) سورة البقرة:273.

فقد سنت الشريعة من الأحكام والتشريعات ما يضمن حفظ المال من جانب الوجود بالحث على التكسب والسعي في الأرض لتحصيل الرزق وإباحة التصرفات المحققة لجلبه بالطريق الصحيح.

وسنت الشريعة من الأحكام ما يكفل أكبر قدر من الاستفادة من المال، كالصدقة والزكاة والوقف والتداين....ثم بمنع الوسائل التي فيها اعتداء على حقوق الآخرين وظلم لهم، كالسرقة والربا والكنز والاحتكار والميسر والغش وأكل أموال الناس بالباطل خصوصا اليتامى.....

وحددت من الحدود ما يضمن تطبيقها بقاء المال عامل بناء في المجتمع لا عامل هدم وتدمير، وذلك كالحد من السرقة وقطع الطريق والتعازير التي تقام على المنحرفين بالمال عن وظيفته الأساسية المتمثلة في إقامة الدين وتيسيره.

obeikandl.com